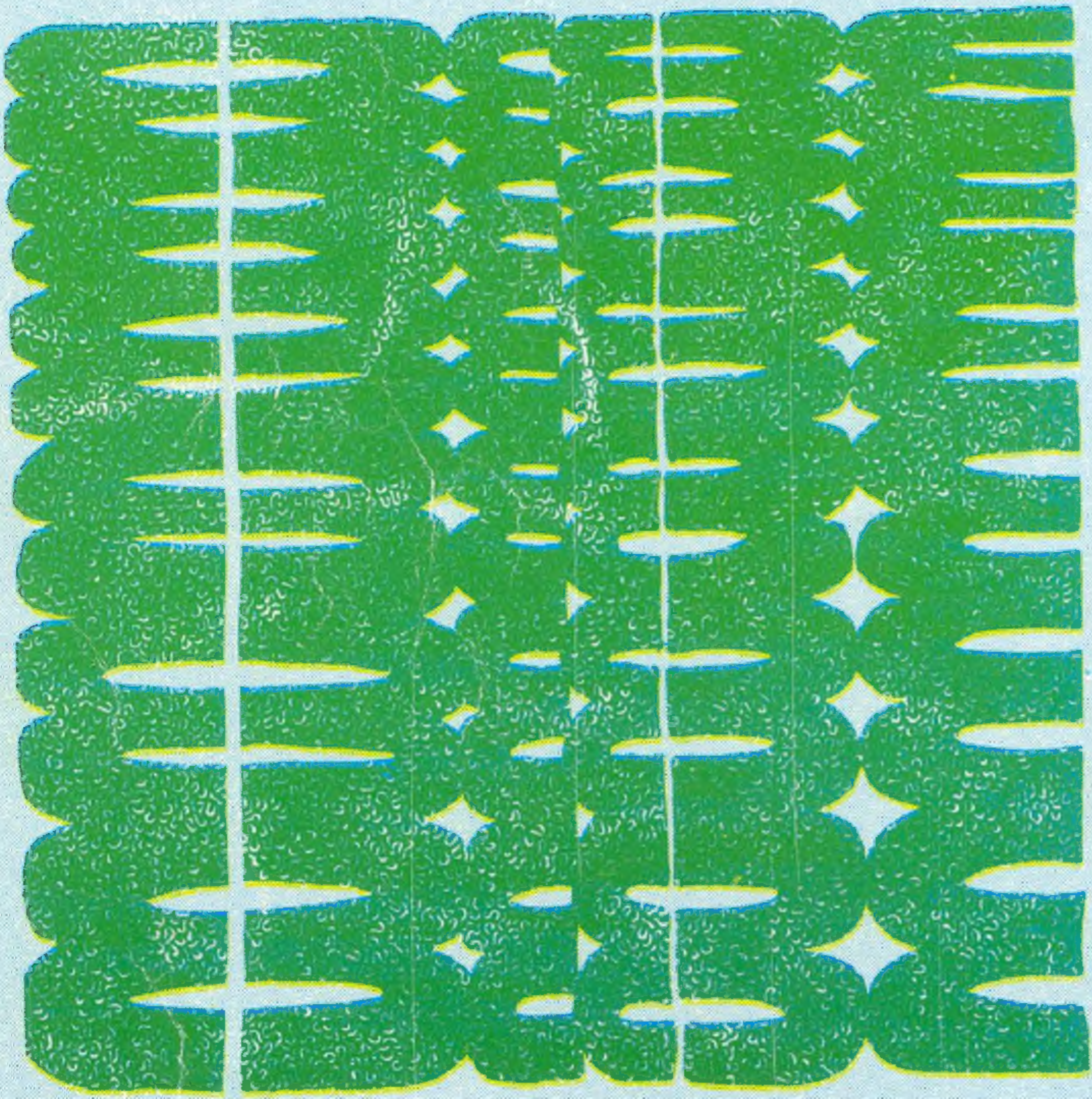


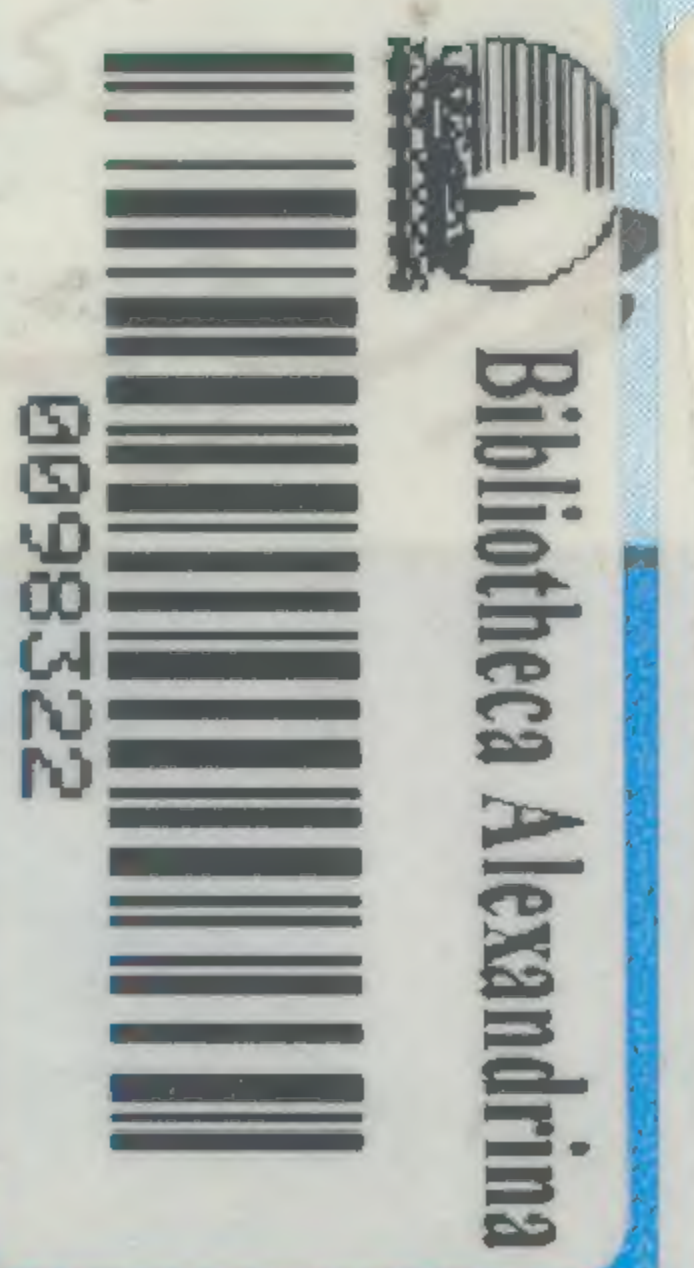
# خِصَاءُ صَالِحٍ الْعَرَبِيَّةِ

تَفْصِيلٌ وَتَحْقِيقٌ



دار  
مجلد

دار الفكر العربي







# خُصَائِمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

## تَفْصِيلٌ وَتَحْقِيقٌ

الدكتور محمد حسن حبل

كلية اللغة العربية بالمشورف - جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بمكة المكرمة - جامعة أم القرى

ماتنزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

١١ ش. جوار مرسى القاهرة

م.ب. ١٣٠ ت: ٣٩٥٥٥٢٣



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد ،  
وعلى آله وصحبه ، ومن والاه ، واتبع هداه . وبعد .

فهذا كتاب عن خصائص اللغة العربية . وخصائص الشيء ما انفرد به  
دون غيره من صفات أو مزايا . (وسياق تحليل لغوي لكلمة خصائص) .  
وخصائص كل شيء إنما تكون بحسبه ، وبحسب ما يراد له . فخصائص  
اللغة لا بد أن تكون مزايا وصفات تخصها من حيث هي لغة . سواء أكانت  
في مفرداتها من حيث الغزارة وحسن التأليف مثلا ، أم في معانيها من حيث  
دقة التعبير أو علاقة التناسب بين الألفاظ والمعاني ، أم في الأساليب من  
حيث إحكام التركيب ، ومن حيث سعة التصرف ، والقدرة على ملاحقة  
وجوه المعاني ، ودرجاتها .

والأئمة الذين ذكروا اللغة العربية خصائص عددوها ونووها كانوا  
يقصدون - ولا شك - ما تعنيه كلمة « خصائص » تلك ، وهي انفرد  
الشيء بما لا يوجد في غيره ، فهم يعنون بخصائص اللغة العربية الأمور  
(المستحسنة) التي تنفرد بها اللغة العربية ، ولا توجد في غيرها من اللغات .

وهذا الذي يعنونه بعبارة « خصائص اللغة العربية » له جانبان .



تلك الأمور التي نسبت إلى العربية ، ودعوى اختصاص العربية بها .  
والجانبان يحتاجان إلى دراسة . أما الجانب الأول فلتفصيل تلك الأمور  
أو الميزات اللغوية التي نسبت إلى العربية مع بيان وجه استحسانها ، لأن  
جمهور مآلوه عنها إما مجمل غاية الإجمال لا يتجاوز الحكم المرسل بأن  
العربية « أوسع اللغات » أو « أحسنها تأليفاً » أو « اختلفت بالإعراب » مثلاً ،  
ولما محدود التفصيل جداً بحيث يتمثل تفصيله في صورة مثال أو أمثلة محدودة  
أو منتشرة هنا وهناك .

— وغير خاف أن تفصيل ما توصف به العربية — بصرف النظر عن كونه  
خاصاً بالعربية أو غير خاص بها — مهم وضروري لكل عربي ودارس  
للعربية ، لأنه تأصيل لهذه الصفات ، ولأنه يزيد في التعريف باللغة  
ويعملها ، وقد يساعد في فقهها . ثم إنه في آخر الأمر يؤسس لتقويم  
هذه اللغة وإبراز ما يزيد في الاعتزاز بها .

— وأما الجانب الآخر وهو دعوى انفراد العربية أو اختصاصها بتلك  
الصفات فهو يحتاج تحقيقاً يبين منه مدى صدق هذه الدعوى ، ومن بدهيات  
الأمر أن هذا التحقيق لا يمكن أن يتم بصورة علمية يعترف بها إلا بعقد  
معارضة واضحة وكاملة بين العربية وغيرها في كل نقطة قيل باختصاص  
العربية بها . وهذا يتطلب معرفة محيطية وفاقية بأشهر اللغات غير العربية  
وأوسعها على الأقل — مع الإحاطة باللغة العربية وفقهها أيضاً .

ولما كان الجمع بين العلم المحيط الفاقه باللغة العربية والعلم المحيط الفاقه  
بغيرها معاً ربما لا يتاح ، أو لا تتاح ظروف استثماره إن وجد ، فقد رأيت  
أنه من حق العربية أن أستثمر ما أتيج لي من فقه فيها أرجو أن يكون كافياً ،  
ومن معرفة وإلمام لا بأس بهما ببعض اللغات الأخرى (١) — مع توفر معلوماتي

---

(١) المؤلف درس الإنجليزية والفرنسية واللاتينية والفارسية والتركية دراسة وسحية .  
ويجود منها الإنجليزية فحسب .

مفيدة عن تلك اللغات بشأن بعض النقاط التي تناولتها موضوعات الخصائص .  
كما أنى أرى أنه من التراخي والتهاون في حق العلم ، ومن الغبن القبيح  
للعربية أيضاً أن تغفل الجانب الأول - وهو جانب تفصيل الخصائص  
المقول بها ، وشرحها شرحاً يوضح حقيقتها - رغم ثمراته الطيبة التي أشرنا  
إليها من قبل بالنسبة للعربية - انتظاراً لإحاطة باللغات كلها لن نتاح غالباً ،  
أو تعللاً بأن بعض المعلومات التي نتمكن من المقابلة بين العربية وغيرها  
غير متاحة هنا أو هناك .

~~~~~

### ● وهذا كله - أعنى

- تفصيل ما نسبته هذه الخصائص إلى اللغة العربية ، وشرحه ، وبيان  
مدى تحققه في العربية ، ووجه استحصانه ،

- ثم تحقيق دعوى الاختصاص . وذلك بالمقابلة بين العربية وغيرها  
بشأن موضوعات الخصائص ، وفي حدود المتاح من المعرفة  
والمعلومات عن اللغات الأخرى .

- هو موضوع هذا الكتاب .

~~~~~

- ولما كانت دراسة الخصائص هذه هي دراسة موازنة ( أي مقارنة )  
بين العربية وغيرها في موضوعات تلك الخصائص ، فقد أحسست أنه  
يتحتم أن أوفى هذه الخصائص في جانبها العربي كل حقها شرحاً وتحقيقاً  
وتأصيلاً ، حتى لا يجزأ التخفيف أو الاقتصاد أو الإحالة في بيان مدى  
تحقق أى من الخصائص في العربية إلى خذلانها ببخس قدرها في موقف  
الموازنة بينها وبين غيرها .

~~~~~

وسبرى القاري - إن شاء الله تعالى - أنى لم أدخر وسعاً في تفصيل  
الجانب العربي من هذه الخصائص وبيان مدى تحققه في اللغة بما يطيقه جهد  
فردى له ظروفه .



كما سيرى — إن شاء الله تعالى — أني التزمت الموقف العادل المنصف عند معارضة العربية بغيرها ، وأنى لم أصدر أحكاماً جزافية بشأن ما أرى أنه يعتمد على الفقه الواسع للغات الأخرى ، أو أن المعلومات التي يمكن أن تقوم عليها أحكام غير كافية .

~~~~~

وقد بدأت الكتاب بثلاثة تمهيدات :

الأول : تحليل لغوى لكلمة « خصائص » : وذلك نظراً لأن هذا اللفظ لم يذكر ، ولم يبين مفردة في أمهات المعاجم اللغوية العربية .

والثاني : جمع لما نسبته الأئمة إلى العربية من الخصائص — مع تنسيقها وترتيبها . وذلك لأن الكثير مما ذكره من هذه الخصائص جاء شذوراً متناثرة من موضوعات شتى ، فكان من اللازم أن تجمع وتنسق مشوراتها في موضوعات متكاملة ، ثم ترتيب ، ليجرى الأمر عند معالجتها في الكتاب على ذلك الترتيب .

وأما التمهيد الثالث : فقد جعلته لموضوع تفضيل اللغة العربية على سائر اللغات . لأن هذا الموضوع وثيق الصلة تماماً بموضوع الخصائص — حيث يمكن اعتداد الخصائص تفصيلاً له . ولكن طبيعته ، وما يقتضيه من معالجة تختلفان عن طبيعة الخصائص ومعالجتها اللغوية البحتة ، لذلك أفردته وجعلت له التمهيد الثالث ، ليكون قبل الخصائص كالتقديم والإجمال لها .

ثم تناولت الخصائص بالدراسة بحسب ترتيبها في التمهيد الثاني .

~~~~~

وأرجو أن أكون — بهذا الكتاب — قد وفقت إلى استنقاذ تلك الخصائص من بين أطواء الفخر المستنم ، إلى أضواء الاعتراف اليقظ .

وأسأل الله عز وجل أن يتم فضله ونعمته بدوام النفع بهذا الكتاب .  
اللهم آمين .

~~~~~



وقبل أن أنتم هذه المقدمة فإنني أستدرك هنا حقاً لابني البار الفاضل  
الأستاذ إبراهيم صبرى راشد ، لأسجل شكرى وتقديرى لما بذل من وقت  
وجهد ثمينين فى القيام على طبع هذا الكتاب ، وكتابتى الآخرين « الاستدراك  
على المعاجم العربية » و « الاحتجاج بالشعر فى اللغة » وتصحيح مسودات  
الطبع للكتب الثلاثة . جزاه الله خيراً ، ووفقه فى مسيرته العلمية كل  
التوفيق . اللهم آمين .

والحمد لله رب العالمين .

اد: محمد حسن حسن جبل  
كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر  
كلية اللغة العربية بمكة المكرمة -  
جامعة أم القرى

طنطا فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٤٠٩ هـ  
٢٠ من أغسطس سنة ١٩٨٩ م







## التمهيد الأول : تحليل لغوي للكلمة خصائص

لم تذكر كلمة « خصائص » ، ولا مفرداتها القياسي في أمهات المعاجم العربية (١) .

وجاء في اللسان عن فعل تركيبها ومعناه : « خصه بالشئ » ، يخصه خصاً ، وخصوصاً ، وخصوصية ، وخصوصية (أى بفتح الحاء وضمها) والفتح أفصح ، وخصيصي ، وخصصه ، واختصه : أفرد به دون غيره ، ويقال اختص فلان بالأمر ، وتخصص له : إذا انفرد ... والاسم الخصوصية ، والخصوصية ، والخصنية ( هذه بكسرتين والصاد مشددة ) والخاصة ، والخصيصي - وهي تمد وتقص (٢) أ- المراد فخصائص الشئ - أخذاً من هذا - هي ما ينفرد به دون سائر جنسه .

- وأقدم ما عثرت عليه من استعمال كلمة « خصائص » ما جاء في الحيوان للجاحظ ( المتوفى ٢٥٥ هـ ) أكثر من مرة (٣) ، ثم استعملها الإمام النسائي المحدث ( أحمد بن شعيب - المتوفى ٣٠٣ هـ ) - عنواناً لكتاب ألفه

(١) انظر تركيب (خصص) في معاجم : العين ، والبارع ، واللسان ، وديوان الأدب ، والمجل ، والمقاييس ، وأساس البلاغة ، والمغرب في ترتيب المعرب ، والتكلمة للصغاني ، والقاموس ، وبصائر ذوي التمييز ، وقاج العروس ، وغريب الحديث لأبي عبيد ، ولابن قتيبة ، والحري (المجلد الخامسة منه) ، والخطابي ، والغريين للهروي ، والمفردات للراغب ، والفائق للزغشري ، والمجموع المغيث لأبي موسى الأصفهاني ، وإصلاح المنطق لابن السكيت ... حيث لا توجد كلمة خصائص ولا مفرداتها القياسي في أي منها .

(٢) لسان العرب (خصص) .

(٣) سنن أبي يعقوب الجاحظ .



في بعض مناقب عليّ — كرم الله وجهه — سماه «خصائص عليّ» ، قال عن سبب تأليفه إياه: «دخلنا دمشق والمنحرف عن عليّ بها كثير ، فصنفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله» (١) هـ ١ . ثم استعملها الإمام أبو الفتح عثمان بن جني (٨٣٩٢) في عنوان كتابه الشهير «الخصائص» وفي دأخله (٢) ، واستعملها الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس (٨٣٩٥) في أحد أبواب كتابه «الصاحبي» (٣) .

وكذلك فعل الثعالبي (٤) (٨٤٣٠) ، واستعملها أيضاً الحريري (٨٥١٦) في درة الغواص (٥) ، والزخشي (٦) (٨٥٣٨) . والأرجح أن هناك آخرين استعملوها وما منهم من ذكر مفردتها . وقال الشدياق في نقده للمعاجم: «وتمام الغرابة أني لم أجد في هذه الكتب (يعني المعاجم) الخصيصة مفرد الخصائص ، وهي في كلام أبي تمام وغيره ، وحسبك تأليف ابن فارس وابن جني في خصائص اللغة (٧) هـ ١ .

— وأرى أن عرض النصوص التي ذكر فيها الجاحظ — ثم غيره — كلمة «خصائص» قد تساعد على كشف مفردتها . وهذه نصوص الجاحظ :

( أ ) « إن التَّرجُّمان لا يؤدي أبداً ما قال الحكيم على خصائص معانيه ، وحقائق مذهبها ، ودقائق اختصاراته » (٨) .

( ب ) « ولولا أن ناساً من كل جيل ، وخصائص من كل أمة ، يلهجون ويكتشفون بتعرف معاني آخرين لدرست » (٩) .

- 
- (١) انظر تهذيب خصائص الإمام علي ص ١٠ حققه وخرجه أبو اسحاق الجويني .  
 (٢) انظر الخصائص ١/١ ، ١٢١/٢ .  
 (٣) انظر الصاحبي (صقر) ٤٤٦ — ٤٤٧ .  
 (٤) انظر فقه اللغة ولسان العرب (السقا وزميله / ط ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م) ص ٣٧٤ .  
 (٥) انظر الدرة (أبو الفضل) ص ٣١ ، ولم يشرح في كشف الطرة (ط ١٣٠١ هـ) ص ٤٢ — ٤٣ .  
 (٦) سياقي نص كلام الزخشي .  
 (٧) الجاسون غلى القاموس ٩٢ .  
 (٨) الحيوان ٧٥/١ — ٧٦ .  
 (٩) الحيوان ٢٤١/١ .



(نجد) وهنا نصّ مطوّل يقتضى البحث عن غرضه كله . قال بشأن إذابة  
جوف الظليم للحجارة :

« ومن زعم أن جوف الظليم إنما يذيب الحجارة بقيظ الحرارة فقد  
أخطأ . ولكن لأبد من مقدار للحرارة ونحو غرائز أخرى ، وخاصيّات أخرى .  
ألا ترى أن القدور التي يُوقد تحمها الأيام والليالي ، لا تذيب .

وسأذكر على أن القول في الخاصيّات والمقابلات والغرائز حق . ألا ترى

أن جوف الكلب والذئب يذيان العظام ولا يذيان نوى التمر ، ونوى التمر  
أرنخي وألين وأضعف من العظام المصنّعة . وما أكثر ما يهضم العظم . وقد  
يهضم العظم جوف الأسد وجوف الحية ، إذا ازدردت بضع اللحم بالشره  
والنهم ، وفيها بعض العظام . والبراذين التي تحيل أجوافها القتل والتبن  
روثاً ، لا تستمرى الشعر . والإبل تقبض بأسنانها على أغصان أم غيلان ،  
وله شوك كضياصى البقر ، والقضبان علكة يابسة جرد ، وصلاب متينة ،  
فتستمرى وتجعلها تسلطاً ، ولا تقوى على هضم الشعر المنقّع . وليس ذلك  
إلا بالخصائص والمقابلات :

« وقد قدّر كل شئ شئاً . ولولا ذلك لما نفذ خرطوم البعوضة  
والجرجسة في جلد الفيل والجافوس ، ولما زأيت الجاموس نهزب إلى  
الانغماس في الماء مرةً ومرةً يتلخخ بالطين ، ومرةً يجعله أهله ريث الدكان ،  
ولو دفعوا إليك مسألةً شديدة المتن ، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد  
التكلف ، وإلا ببعض الاعتياد :

« والذي سخر جلد الجاموس حتى انفرى . وانصدع لطعنة البعوضة ،  
وسخر جلد الحمار لطعنة الذباب ، وسخر الحجارة لجوف الظليم ، والعظم  
لجوف الكلب - هو الذى سخر الصخر الصلب لأذنان الجراد إذا أرادت  
أن تلتق بيضها ، فإنها في تلك الحال متى عقدت ذنبها في ضاخي صخرة  
انصدعت لها . ولو كان انصداعها من جهة الأنسر ، ومن قوة الآلة ، ومن



الظلم وقوة الغمز ، لانصدعت لما هو في الحس "أشد وأقوى . ولكنه على  
جهة التسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك عُود الحلفاء ، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه ، إذا كُبت في  
عمق الأرض ، وتلقاه الآجر والخزف الغليظ ، ثقب ذلك ، عند نباته  
وشبابه ؛ وهو في ذلك عبقر نصير (١) .

— وإنما نقلنا هذه النصوص — على طول بعضها ليمكن تبين معناها ، والتهدي  
إلى مفردتها .

● والمتأمل في هذه النصوص يرجح لديه أن « الخصائص من  
كل أمة » في النص ( ب ) هي بمعنى الخواص الذين هم القلائل المتميزون  
في المعرفة بشيء ما ، أو الصلة بشخص ما . أما الخصائص في النص  
( ج ) بموضعيه فإنه استعمالها بمعنى الخواص التي هي جمع خاصة  
( أو خاصية — على غير قياس — كما سيأتي ) . وهي ما في الشيء من  
قوة مؤثرة تفرد بها في جانب معين . وقد استعمل الجاحظ كلمة  
الخاصيات جمع خاصية — في موضعين بنفس المعنى الذي استعمل له  
الخصائص .

وأما النص ( ا ) فليس استعمال الخصائص فيه كبير البعد عما استعملت  
فيه الكلمة في المواضع الثلاثة السابقة . فخصائص المعاني هي المعاني الخاصة  
الدقيقة التي يقصدها الحكيم بكلامه .

ومن جهة أخرى فإن كلمة الخصائص يمكن أن يكون مفردتها تخصيصية  
لأن فعائل يطرد جمعاً للرباعي المؤنث الذي ثالث مدة (٢) .

ومن هنا قال ابن يعيش ( ٦٤٣ هـ ) في تفسيره لقول الزمخشري « وله  
( يعني الاسم ) خصائص منها جواز الإسناد إليه . . . » ( قال ابن يعيش ) :

(١) . الحيوان ٢١٣/٤ - ٢١٥ .

(٢) . انظر شرح الرضى الشافعية ١٤٩/٢ - ١٥٠ . . .



« الخصائص جمع خصيصة وهي تأنيث الخصيص (يعنى بوزن كبير) بمعنى الخاص ، ثم جعلت اسماً للشيء الذى يختص بالشيء ويلزمه . . . » (١) .

ثم قال ابن يعيش : « ومن خواص الاسم (جواز الإسناد إليه) . . . » (٢) .  
 أى أن ابن يعيش استعمل لفظ « خواص » فى الموضع الذى استعمل فيه الزمخشري كلمة « خصائص » . وهذا يتفق — جزئياً — مع قوله من قبل إن « الخصائص » جمع « خصيصة » تأنيث « الخصيص » بمعنى « الخاص » ، وقد ذكر ابن يعيش أن « خصائص » جمع « خصيصة » فى موضع آخر من شرحه هذا (٣) . وقال بهذا المفرد للكامة أيضاً أحمد فارس الشدياق — على ما أسلفنا (٤) .

— وليس فى « تهذيب خصائص الإمام على » (٥) ما يؤخذ منه مفرد محدد للخصائص ، وكل ما هنالك أنه عُنونت عدة فصول فيه بـ « ذكر ما خُصَّ به على » من كذا ، « ذكر ما خُصَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً . . . » (٦) وهذا التعبير تؤخذ منه الخاصة والخصيصة على السواء .

— أما ابن جنى فإنه فى باب « تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمباني » من كتابه الخصائص — حل عدة مجموعات من الأسماء التى كل مجموعة منها تستعمل تعبيراً عن معنى واحد (كالخُلُق ، والطبيعة ، والسجية الخ) فوجد أن أصل كل اسم فى مجموعة ما معناه يفضى إلى معنى الاسم الآخر أو الأسماء الأخرى فى المجموعة نفسها — وهذا هو معنى عنوان الباب ، ثم قال — بعد أن حل ألفاظ مجموعة : « فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة » (٧) . ثم قال بعد تحليل عدة مجموعات أخر :

(١) شرح المفصل ٢٤/١ .

(٢) نفسه . (٣) شرح المفصل ٣/٧ .

(٤) ذكرنا مقاله فى أوائل هذا التمهيد ، وانظر الجاسوس ٩٢ .

(٥) انظره بتحقيق أبى إسحاق الجوينى الأثرى .

(٦) انظر السابق ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٥ .

(٧) انظر الخصائص ١٢١/٢ .



« فالتأني والتلطف في جمع هذه الأشياء ، وضمها ، وملاحمة ذات  
بيئها هو خاص اللغة وتسرهما » وفي نسخة « هو خاص أمر اللغة » (١) .  
فهذا قد يؤخذ منه أن الخصائص عنده جمع خاصة . وقد قال في مقدمة  
كتابه « الخصائص » — ذاكرًا بجدوى موضوع كتابه هذا ، وقيمة  
ما كان يجمعه ويضمه إياه : « هذا مع . . . اعتقادي فيه أنه من أشرف  
ما صُنّف في علم العرب . . . » وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة  
الشريفة من خصائص الحكمة . . . (٢) فإذا صح ما أجزنا أخذه من كلامه  
كانت كل واحدة مما يدل على الحكمة « خاصة » من الخصائص .

— وأما ابن فارس فهو — أولاً — يقصد « بالخصائص » في إلباب الذي  
جعل عنوانه « الخصائص » في كتابه الصاحبي : الكلمات أو العبارات  
تستعمل في مجالات أو مقامات خاصة (كالخير أو الشر ، والحسن  
أو القبح ، والليل أو النهار) لا يجوز استعمالها في غيرها كقولهم «مكانك»  
أي الزم مكانك : لا تستعمل إلا في حالة الوعيد خاصة ، ومثل ظل  
يفعل كذا أي لا يقال « ظل » إلا إذا كان الفعل نهراً . وهكذا (٣) .  
ثم إنه لم يذكر مفرد تلك الخصائص ، وكأنه عبارة أو كلمة « خاصة »  
بمقام أو مجال ما . وكذلك فعل الثعالبي (٤) .

— ومما يجدر ذكره هنا أن كلمة « خاصة » ذكرتها المعاجم القديمة بمعنيين  
فقط هما الخاصة اسم مصدر للفعل خص ، وقد مرت (٥) ، والثاني الخاصة  
مقابل العامة . وهذه في الأصل صفة لعدد من الناس لهم علاقة أو شأن  
خاص ، وقد جاء في العين (حميم) تفسير للخاصة لعله أصل هذا

(١) نفسه ١٢٥/٢ .

(٢) الخصائص ١/١ .

(٣) انظر الصاحبي (مقرر) ٤٤٩ — ٤٤٧ .

(٤) انظر فقه اللغة وسر العربية (السقا ذبيلا) ٣٧٤ .

(٥) أصلها في المحكم ٣١٥/٤ ومنه في اللسان والتاج واللائم المصوب . . .

والخاصة . . .



الاستعمال : قال : « والحامة : خاصة الرجل من أهله وولده وذوى قرابته » (١) وجاءت العبارة نفسها تقريباً في تركيبي (حمم وسمم) في اللسان والتاج (٢) . فخاصة الرجل تعني أصلاً الأهل والولد والأقارب . وذلك مقابل العامة . وإنما سمي خاصة الرجل « خاصة » ؛ لأنهم يخصصونه أى يفرّدونه بالتبعية والولاء والتعلق لا يتعلقون بغيره . . . (٣) وإلى أفراد التعلق هذا يثول ما في الحديث « بادروا بالأعمال ستا . . . وخوئصة أحدكم » يعنى حادثة الموت التى تخص كل إنسان (تفرده بالقصد والوقوع ، وليست عامة كالقيامة) ، وقول أم سليم « وخوئصةك أنس » (٤) (تعنى الذى يفرّدك بالخدمة لا يخدم أحداً غيرك) . وكلاهما تصغير خاصة . ثم من ذلك — أعنى من خاصة الرجل مثلاً — قيل خاصة الحاكم ، وهم بطانته الذين يفرّدونه بالولاء والتبعية — أو هم سموا كذلك تشبيهاً بخاصة الرجل ، ويلزم من قربهم أن يستشاروا . والخاصة فى أمر أو علم هم الذين يفرّدون ذلك الأمر أو العلم بالاهتمام والمتابعة ، ويلزم من ذلك أن يكونوا أكثر الناس إحاطة بهذا الأمر أو العلم . وبذلك ترجع استعمالات لفظ الخاصة إلى خصه بمعنى أفرده بشيء .

— وأغفلت المعاجم القديمة خاصة الشيء بمعنى القوة الخفية فيه التى لها تأثير معين لا يوجد فى غير ذلك الشيء من العقاقير وغيرها ، وهى معروفة شائعة بصيغة الجمع « خواص » كذا ، وهى التى ذكرها الجاحظ لكن بصيغة النسب حين ذكر أن جوف الظليم يذيب الحجارة .

(١) العين (حمم) ٢٣/٢ .

(٢) انظرهما فى التركيبين وقد جاء فى (حمم) « والحامة العامة وهى أيضاً خاصة الرجل الخ » وأصل هذه العبارة فى المحكم ٢٨٥/٢ وكلمة العامة هنا إما أنها محرقة عن السامة (بمعنى الخاصة أيضاً) وإما أنه سقط لفظ « ضد » أو « خلاف » قبلها . . .

(٣) جاء فى التهذيب ٥٥٢/٦ « والخاصة التى اختصته لنفسك » ونحوه فى المحكم ٣٦٠/٦ وهذا يعنى أن « الخاصة » وهى على صيغة اسم الفاعل جاءت هنا على معنى اسم المفعول (المخصوص) وهو بخلاف الأصل ، والذى أولّياه يجعلها على الأصل ، وليس فيه تكلف .

(٤) انظر الحديثين والتعليق عليهما فى التاج واللسان .



بالخاصيات لا بالحرارة وحدها ، وجوف الكلب والذئب يذيب العظام  
بالخاصيات ولا يذيب النوى . وقد ذكرنا (الخاصة والخاصية) في  
كليات أبي البقاء (١) (١٠٩٤ هـ) ثم في محيط المحيط وأقرب الموارد (٢) ،  
ثم في المعجم الوسيط حيث قال : « وخاصة الشيء ما يختص به دون غيره ،  
ج خواص ، وخواص العقاقير قواها التي تؤثر في الأجسام » . ثم ذكر  
أن الخاصية نسبة إلى الخاصة .

● وبمراجعة ما سبق يتبين :

( أ ) أنه قد يؤخذ من كلام الجاحظ أن الخصائص واحدتها خاصة ، لأنه  
استعملها بمعنى الخواص في قوله « وخصائص من كل أمة » . وقريب  
من هذا ما في قوله « إن الترجمان لا يؤدى أبداً ما قال الحكيم على  
خصائص معانيه » .

( ب ) أنه استعمل لفظ الخاصيات في موضع الخصائص — كماوضحنا من  
قبل ، وهذا فيه إضافتان : الأولى أنه استعمل لفظ خاصية — ربما

---

(١) الكليات (ط بولاق) ١٧٤ .

(٢) انظر محيط المحيط لبطرس البستاني وكذلك قطر المحيط له وقد ذكر في هذا خاصة فقط  
وأقرب الموارد لسعيد الخوري الشرتوني .

« لم يبق ما قد يطلب هنا إلا ( أ ) ما جاء في المصباح عن الكسائي أن الخاص والخاصة واحد ،  
وقول الزمخشري إن خاصة تستعمل للمفرد والجمع هو خاصي وهم خاصي ، ( ب ) التاء  
في خاصة . وعبارة القيوي في المصباح خص الشيء خصوصاً من باب قد خلاص عم ،  
فهو خاص واختص مثله . والخاصة خلاف العامة — والماء للتأكيد » . وعبارة أبي البقاء  
« وخاصة مصدر كعاقبة وكاذبة ضد عامة والتاء للتأنيث أو للمبالغة » (الكليات ١٨٠) وعبارة  
أبي البقاء هذه جاءت في محيط المحيط وأقرب الموارد، وذكر محيط المحيط عبارة أخرى «الخاصة  
ضد العامة كالخاص ، والتاء ليست للتأنيث بل للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما في لفظ  
الحقيقة أي أن الخاصة ليست مؤنث الخاص ... » . والذي أراه في ضوء استعمال خاصة للمفرد  
أيضاً أن النقل من الوصفية إلى الاسمية متحقق في خاصة التي هي اسم بمصدر والتي هي قوة  
مؤثرة ، والخاصة ضد العامة فيها — مع هذا — معنى الجماعة كالسابلة والواردة ( انظر شرح  
المفصل ٩٩/٥ — ١٠٠ ) فالتاء فيها لتأنيث الجماعة أيضاً . وخاصة في قوله هو خاصية  
تأنيها للنقل أو المبالغة أيضاً .



لأول مرة ، والثانية أنه قد يؤخذ من استعماله الخاصيات في موضع الخصائص أن مفرد الخصائص عنده خاصية أيضاً .

(ج) أنه قد يؤخذ من كلام ابن جني أيضاً أن مفرد الخصائص خاصة ، وفي هذه الحالة فإنها تكون نقلت من الوصفية في قولهم إن هذا الأمر سمة أو ميزة أو طبيعة خاصة للغة — إلى الاسمية أي صارت اسماً لتلك الميزة .

(د) أن المفرد القياسي لكلمة الخصائص بمعنى ما تنفرد به ( اللغة العربية ) هو الخصيصة . ولكن ابن يعيش لم يسوغه من جهة المعنى إلا بإرجاعه إلى الخاص ؛ إذ قال الخصائص جمع خصيصة ، وهي تأنيث الخصيص بمعنى الخاص . وابن يعيش حجة ، ولكننا نسجل فقط أن الخصيص والخصيصة لم يذكر في أي من دواوين اللغة السابقة على ابن يعيش — حسب ما أدى إليه البحث .

كذلك نسترعى الانتباه إلى أن ابن يعيش استعمل كلمة خواص في الموضع الذي استعمل فيه الزنخشري لفظ الخصائص . وهذا قد يؤخذ منه منيلاً إلى استعمال « الخاصة » بدل الخصيصة .

— ثم نضيف أنه : جاء في نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للشهاب الخفاجي : « والخصائص . . ما يختص به ولا يتعداه لغيره جمع خاصة ، أو خاصية — على كلام فيه في شرح المفتاح » (١) اهـ . وجاء في الكلبيات : « والخواص اسم جمع الخاصية لا جمع الخاصية لأن جمعها خاصيات » (٢) . ونسب لين E. W. LANE في معجمه إلى أبي الليقاء أنه ذكر خصائص أيضاً جمعاً لخاصية (٣) ، ولكني لم أجدها في الكلبيات .

(١) نسيم الرياض ١/٢٤ .

(٢) الكلبيات ( بولاق ) ١٧٤ .

(٣) معجم لين : مد القاموس ٧٤٧/٢ .

(م. ٢) : الخصائص اللغة العربية



وفي معجم دوزي تخصيصية وتجمع على خصائص وفسرها بالخاصة والخاصية (١) : ولكنه لم يذكر مصدر كلامه هذا : وفي محيط المحيط للبيهقي ، وأقرب الموارد للشرطوني أن الخاصية جمعها خاصيات وخصائص على غير قياس (٢) .

~~~~~

وبهذا كله يتبين أنه قيل في مفرد الخصائص بثلاثة أقوال : أ - الخاصة ب - الخاصية ج - الخصيصة . وقد تبين أساس كل قول .

~~~~~

— وقد جرى المعجم الوسيط على ما قال به ابن يعيش ؛ إذ جاء فيه «الخصيصة الصفة التي تميز الشيء وتحدده» ج : خصائص ( وذكر الخصائص مجتمعا للخاصة الفرجة ونحوها . وهذا غير المعنى الذي نعالجه ) .

— وجاء في أقرب الموارد أن الخصائص جمع خاصة - ( على غير قياس ) ومثله في المنجد .

— ومع ما يبدو لي من رجوح الخاصة مفردا للخصائص على غير قياس - إلا أنني أفضل الأخذ بما هو قياسي ، ولذا جريت هنا على أن المفرد خصيصة تبعا لابن يعيش ، ولعل هذا هو أساس أخذ المعجم الوسيط بقول ابن يعيش أيضا :

---

(١) معجم دوزي : تكملة المعاجم العربية (ترجمة د. النعيمي) ١٠٧/٤ .  
(٢) انظر المعجمين المذكورين تركيب (خصص) .



## التمهيد الثاني : إجمال النخصائص

يحسن أن نقدم بياناً بالخصائص التي يتناولها هذا الكتاب : وسنذكر من نصوص الأئمة القائلين بالخصائص أجمع نصوصهم لها ثم نذكرها منسقة ومرتبة .

ولعل من أكثر النصوص جمعاً للخصائص ما سنده للجاحظ وابن قتيبة وابن فارس .

يقول الجاحظ : « ولا بد أن نذكر . . . الدليل على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثال التي ضربت فيها أجود وأسير . (وأن نذكر) الدليل على أن البدية مقصورة عليها ، وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي تسميه الروم والفرس شعراً . . . » (١) وذكر في موضع آخر أن « البديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان » (٢) . وهو يقصد بالبديع ما سمي البيان (المجاز بأنواعه من تشبيه واستعارة . . الخ) .

أما ابن قتيبة فقد ذكر من خصائص العربية البيان ، وزيادة حروف المباني في العربية عنها في غيرها ، والإعراب ، والشعر ، والعروض ، وتغير بعض حروف الكلمة بقدر ما تغير من مدلولها نحو النضج ، والنضغ - وهو

(١) انظر البيان والبيان ٢٨٢/١ - ٢٨٥ .

(٢) نفسه ٢٥/١ .



ما سماه ابن جني التصاقب ، وارتباط الدلالة بالصيغة في نحو ضُحِكَة بالضم ، وضُحِكَة بضم قفتح ، وفي نحو مُبَطِّن ، وبَطِّين ومبطن ، وبَطِّين (كحذر) ، ومبطون (١) :

وقد تبعه ابن فارس في أكثر ذلك ، وأضاف الترادف ، كما أضاف اختصاص العرب بحفظ الأنساب - وليست وثيقة الصلة بالعربية ، إلا إن احتسبناها تمثل سنداً للغة . ثم ذكر كثيراً من الخصائص الجزئية التي سماها سنن العرب مثورة في عشرات الأبواب (٢) .

وسبق الإمام الشافعي فذكر من خصائص العربية كثرة ألفاظها ، وسعة تصرفها : وأضاف الفارابي حسن التأليف .



وهذا بيان منسق ومرتب بما ذكر الأئمة من الخصائص ، وأهم مواضع ذكرها .

---

(١) انظر تأويل مشكل القرآن ١٢ - ٣٢ ثم ٨٦ - ٢٩٨ .  
(٢) انظر الصاحب (صقر) ٨٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ٣٠٩ ، ٣٢١ ، الخ .



# ترتيب خصائص العربية التي ذكرها الأئمة

الكتاب الذي ذكرها فيه			من ذكرها من الأئمة		الخصيصة
( إجمالاً مع ذكر بعض عناصره ) في الرسالة ٤٢ ، ٥٠ - ٧٣ البيان والتبيين ١/٣٨٤ تأويل مشكل القرآن ١٢ المصاحبي ١٦ كتاب الأفعال ٥١/١			الإمام الشافعي الجاحظ ابن قتيبة ابن فارس السر قسطلي	١ - البيان والخصائص في المفصلة له :	
تأويل مشكل القرآن ١٤ سر الفصححة ٥٦ - ٥٧			ابن قتيبة ابن سنان الخفاجي	٢ - كثرة حروف المباني	
ديوان الأدب ٧٢/١ المصاحبي ٢٠ سر الفصححة ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٦ - ٦٧ ، ٧٥ - ٧٧			إسحاق بن إبراهيم الفارابي ابن فارس ابن سنان الخفاجي	٣ - حسن تأليف حروف المباني في الكلام	



(تابع) ترتيب شخصيات العربية التي ذكرها الأئمة

الكتاب الذي ذكرها فيه	من ذكرها من الأئمة	الخصيصة
<p>الرسالة ٤٢ البيان والتبيين ٣٨٤/١ (بإجمال) الصباحي ٢٦ سر الفصاحة ٤٨ - ٥٠</p>	<p>الإمام الشافعي الجاحظ ابن فارس ابن سنان</p>	<p>٤ - التفوق في كثرة المفردات</p>
<p>الرسالة ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٢ - ٧٣ البيان والتبيين ٣٨٤/١ ، ٥٥/٤ ، فقه اللغة للعمالي ٣٦٠ تاويل مشكل القرآن ١٢ - ١٣ ، ٢٠ - ٢١ ثم سائر الكتاب الصباحي ١٢ - ١٧ ، ٢١ ، ١١٤ - ١١٧ ، ٢٨٩ إلى آخر الكتاب سر الفصاحة ٤٨ - ٥٥ فقه اللغة وسر العربية ٣٢٢ إلى آخر الكتاب</p>	<p>الإمام الشافعي الجاحظ ابن قتيبة ابن فارس ابن سنان أبو منصور العمالي</p>	<p>٥ - سعة التصريف بعمامة (ويشمل سعة التصريف في المفردات وفي الأساليب كما يشمل المجازات)</p>
<p>تاويل مشكل القرآن ٢١ - ٢٢ الصباحي ١٧ سر الفصاحة ٤٨ - ٤٩</p>	<p>ابن قتيبة ابن فارس ابن سنان</p>	<p>٦ - تصحيف الترجمة - تذهيجه لغزارة المفردات وسعة التصريف</p>



( تابع ) ترتيب خصائص العربية التي ذكرها الأئمة

الكتاب التي ذكرها فيه	من ذكرها من الأئمة	المصنف
<p>تأويل مشكل القرآن ١٤ ديوان الأدب ٧٢/١ الصاحبي ٧٦ ( وانظر أيضاً ٥٥ ، ٣٠٩ - ٣١٠ )</p>	<p>ابن قتيبة اسحاق بن إبراهيم الفارابي ابن فارس</p>	<p>٧ - الإعراب</p>
<p>البيان والنبين ٣٨٤/١ تأويل مشكل القرآن ١٧ - ١٨ الصاحبي ٧٧ ( وله فصل عنه في ٤٦٥ - ٤٧١ )</p>	<p>الجاحظ ابن قتيبة ابن فارس</p>	<p>٨ - الشعر</p>
<p>البيان والتبيين ٣٨٤/١ ( بإجمال ) تأويل مشكل القرآن ١٨ - ٢٠ ( تبعاً للشعر ) الصاحبي ٧٧ .</p>	<p>الجاحظ ابن قتيبة ابن فارس</p>	<p>٩ - ( العروض )</p>
<p>تأويل مشكل القرآن ١٥ - ١٧ ( سياقاً ) الصاحبي ٣٠٩ - ٣١١</p>	<p>ابن قتيبة ابن فارس</p>	<p>١٠ - ارتباط الدلالة بالصيغة</p>



( تابع ) ترتيب خصائص اللغة التي ذكرها الأئمة

الكتاب الذي ذكرها فيه		من ذكرها من الأئمة		الخصيصة
تأويل مشكل القرآن ١٦ (سياقا) الخصائص ١٤٥/٢		ابن قتيبة ابن جني		١١ - مناسبة الأصوات للمعاني
الخصائص في أبواب المعاني وغيرها حيث بلغت النظر دائما إلى شرف العربية وإحكامها وسحرها مما يؤدي معنى اختصاصها بما في تلك الأبواب . انظر مثلا الخصائص ١١٣/٢ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢ (النخ)		ابن جني		١٢ - (سائر ما بويه ابن جني )
تأويل مشكل القرآن ٨٦ - ٢٩٨ الصاحي ٣٢١ إلى آخر الكتاب فقه اللغة وسر العربية (كثير مما في قسم سر العربية )		ابن قتيبة ابن فارس التهالبي		١٣ - مشورات سنن العرب



## التمهيد الثالث : تفصيل اللغة العربية على سائر اللغات

موضوع تفصيل العربية على غيرها هذا وثيق الصلة بموضوع الخصائص بل تكاد الخصائص تكون بياناً وتفصيلاً له . ويعتمد هذا التفصيل هو النقل ، وسنأتي منه بما يتاح ، ثم نجتزئ بما يتقرر في تفصيل الخصائص تفهماً وتصديقاً ( عقلياً ) لهذا التفصيل النقلى .

أولاً : ما جاء في القرآن الكريم مما يؤخذ منه تفصيل العربية  
جاءت في القرآن الكريم آيات تتحدث عن اللغة العربية . ونحن نلاحظ أن اثنين من تلك الآيات ربطتا بين العربية وبين صفة الإبانة :

فقال تعالى : « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » (١) وقال تعالى : « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » (٢) .

وإذا كان البيان هو لب اللغة وجوهر ما هيئها ، وبه عبر القرآن عنها في قوله تعالى : « البرحمن : علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان » (٣) فإن وصف اللغة بالبيان يعنى بلوغها تمام الغاية من وظيفتها . أى أنه وصفت بالكمال وهو أساس التفصيل . وقد أوجز ابن فارس ذاك الذى ذكرناه ثم قال : « فلما خص جل ثناؤه اللسان العربى بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه ، وواقعة دونه » (٤) .

(١) من الشرح ١٩٣ - ١٩٥ ، والضمير في « به » القرآن الكريم

(٢) من التعليل ١٥٣ : (٣) - أولى من البرحمن

(٤) انظر الصالح ١٦٠



— ونلاحظ كذلك أن هناك آيتين ربطتا بين عربية القرآن وبين العقل :

قال تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (١) وقال : « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (٢) والآيتان وإن جاز أن يحمل ما فيهما من الربط بين عربية القرآن وبين العقل على أن القوم عرب أنزل إليهم القرآن عربياً ليستطيعوا أن يعقلوه ، فإن هناك ما يقرب حمله على إكساب التعقل وزيادة القدرة العقلية . وذلك أن وصفها بالإبانة يعنى بلوغها الكمال في دقة التعبير ولمح لطائف المعاني مما يترتب عليه دقة الفهم وعمقه واتساع آمادته . وكثرة ممارسة هذا ثرى الفطنة . ويؤيد هذا الفهم والتفسير ما جاء أن عمر رضى الله عنه كتب إلى أبي موسى : « تحذ الناس بالعربية فإنه يزيد في العقل » ، ويثبت المروءة » (٣) . ولا شك أن اللغة التي تزيد في العقل ويؤخذ هذا مما ذكر عنها في القرآن الكريم — تفضيل غيرها ، وتنويه القرآن الكريم بذلك ( على هذا التفسير ) يجعل فضلها هذا فوق الجدل »

— وبهذا وذاك يتضح ما تدل عليه الآيات من فضل للعربية وتفضيلها



### ثانياً : ما جاء في الحديث الشريف من تفضيل العربية

فن ذلك ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم : « أول من فتن لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة » قال ابن حجر عن هذا الحديث إن إسناده حسن (٤) . ورواية ابن سبيلام في الطبقات لهذا الحديث —

(١) من يوسف ٢ .

(٢) من الزخرف ٣ .

(٣) لسان العرب (مراً) .

(٤) كنز العمال ١١ / ٤٩٠ وقال (الشيرازي في الألقاب عن علي) يعنى أخرجه الشيرازي . .

وقوله من علي أن علياً كرم الله وجهه . رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد جرى المحدثي مؤلف كنز العمال على الاجتزاء بذكر الصحابي الذي روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أما الحكم بحسن سند الحديث فقد نقله مصحح الكنز عن المناوي في الفيض ٣ / ٩٢ من ابن حجر .

بعد أن ظن ولم يقطع بأنه مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. « أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما » (١) والرواية الأولى مرفوعة دون شك . وقد جاء السيوطي لها بسند متصل صريح الرفع أيضاً (٢) .

— وقد دافع الجاحظ عما يقرره الحديث الأول ، واحتج له في باب خاص بعنوانه « القول في إنطاق الله عز وجل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بالعربية الميمنة على غير التلقين والتمرين ، وعلى غير التذريب والتدريج » ، وكيف صار عربياً أعجمي الأبوين (٣) ونقل عن أبي عبيدة روايته للحديث المذكور بلفظ « أول من فتق . الخ » عن منسمع . عن محمد بن علي بن الحسين عن آبائه (٤) . كما نقل عنه تصديق يونس بن خبيق لمسمع وقوله هكذا حدثني نصر بن طريف (٥) . وقد جاء السيوطي في المزهري برواية ابن سلام ثم قال : « وأخرج الحاكم في المستدرک ، وصححه ، والبيهقي في شعب الإيمان من طريق سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا « قرآناً عربياً لقوم يعلمون » ثم قال : « أم لهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً » (٦) وواضح أن معنى حديث الإلهام هذا هو معنى حديث فتق لسان إسماعيل ، وحديث تكلمه بالعربية منع تسيانه لسان أبيه . وقد افتح الزمخشري خطبة الفائق بقوله « الحمد لله الذي فتق لسان الذبيح ، بالعربية البينة والخطاب الفصيح ، وتولاه بأثرة التقدم في النطق باللغة التي هي أفصح اللغات . . » (٧) والحديث معترف به ، فالحديث بحسنه وصحته . وفي هذا كفاية .

(١) طبقات فحول الشعراء ٩/١ .

(٢) انظر المزهري ٣٤/١ بلفظ « المتينة » ولعله تصحيف .

(٣) البيان والتبيين ٢٩٠/٣ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) المزهري ٢٢/١ - ٢٣ وحديث الإلهام هذا في كنز العمال ٤٩٠/١١ أيضاً .

(٧) الفائق في غريب الحديث للزمخشري (أبو الفضل والبجاوي) ١١/١ .



ولا يخفى أن فتق لسان نبي من الأنبياء بلغة ما ، وإلهامه إياها فيه من التفضيل للغة بقدر ما للنبي من الفضل على غير النبي ، بالإضافة إلى أنه يؤخذ منه أن تلك اللغة من عند الله .

وهذا تفضيل لا يحاط بمداه .

~~~~~

ومن ذلك أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم علّمها بالوحي :

جاء في الجامع الكبير أن ابن عساكر أخرج عن أنس أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله مالك أفصحنا لساناً وأبيننا بياناً ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إن العربية اندرست فجاغنى بها جبريل غبطة طرية . كما شق على لسان إسماعيل عليه السلام » (١) . وجاء هذا الحديث والسؤال الذي استدعاه بأكثر من صورة : ففي الجامع الكبير أن أبا بكر رضي الله عنه قال : يا رسول الله . لقد طفت في العرب ، وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أدبني ربي ، ونشأت في بني سعد » (٢) وجاء في حديث آخر عن علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » (٣) (البأديب : التعليم) ونقل السيوطي في المزهري ما رواه أبو أحمد الغطريف بسنده أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله . مالك أفصحنا — ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ . قال : كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل عليه السلام فحفظتنيها فحفظتها . قال أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤) . وفي رواية مفصلة أوردها السيوطي عن البيهقي قيل له صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ما أفصحك ! ما رأينا الذي هو أعرب منك . فقال صلى الله عليه وسلم « حَقُّ لِي . فلَئِذَا أَنزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » (٥) .

(١) الجامع الكبير ٢٠٧/١ ، وكنز العمال ١١/٤٩٠ .

(٢) الجامع الكبير ٢٩/١ . (٣) نفسه .

(٤) انظر المزهري ٢٤/١ — ٣٥ .

(٥) انظر المزهري ٣٥/١ .

— وروى عنه صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « جاءني جبريل فلقنني لغة أبي إسماعيل » (١) وقال : « مُثِّلْتُ لِي أُمِّي فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ ، وَعَلِمْتُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، كَمَا عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » (٢) .

— ونحن نلاحظ أن هذه الأحاديث فيها تأكيد للأحاديث السابقة الخاصة بفتح لسان إسماعيل بالعربية المبينة ، وهذا صريح في رواية أنس ، كما يؤخذ من نسبة العربية إلى إسماعيل : وقد أسلفنا أن معنى هذا الحديث حكم له بالصحة والحسن .

— أما الجانب الخاص بوحى العربية إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإننا إذا نظرنا إلى المعنى — تاركين للمنتخصين في الحديث الحكم على درجات هذه الأحاديث — فسيوضح لنا أن تنزيل القرآن الكريم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم « بلسان عربي مبين » ، وضرورة وعيه صلى الله عليه وسلم بكل أسرار ما أوحى إليه ونُزِّلَ على قلبه ، وتكليفه بتبليغ رسالة الله المضمنة فيه كل هذا يقضى بالقول بوحى اللغة إلى النبي صلى الله عليه وسلم استنباطاً لو لم ترد به رواية ، لتكشف له كل غيبات التعبيرات القرآنية مهما لطف ، ليبلغ منها ما شاء الله تعالى .

— وواضح أن إحياء ما درس من اللغة ، وإحجامها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رعاية من الله عز وجل لهذه اللغة تعنى تفضيلها على غيرها بلا مرأ .



— ومن ذلك ما روى من أن العربية لغة أهل الجنة ، وأنها كانت لسان آدم عليه السلام في الجنة . وقد جاءت بذلك روايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنه ابن عباس رضى الله عنهما (٣) ليست قوية البتة .

(١) كثر المال ١١/٤٩٠ (الدبلى عن ابن عمر) .

(٢) المزمهر ١/٣٩ (أخرجه الديلمى في مسند الفردوس عن أبي داود) .

(٣) انظر المزمهر ١/٣٩ حيث الرواية عن ابن عباس ، وقول عبد الملك بن حبيب .



ولكن تؤمّمها الفارابي في ديوان الأدب (١) والسرقي في كتاب  
الأفعال (٢) والإمام ابن منظور في مقدمة معجمه العظيم لسان العرب (٣)  
وإذا صح هذا فهو تأصيل للعربية ونجدة تتقاصر دونه كل اللغات . .

~~~~~

ومنها ما روي أنه لم ينزل وحى إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه (٥) .  
وأما كان الأمر في ما لم يثبت من تلك الروايات فإن نزول القرآن الكريم  
وهو خاتم الكتب السماوية بهذا اللسان العربي المبين ، وعلى سنن الإعجاز  
فيه ، هو منقبة له لاتدانيها منقبة في مجال اللغات ، وهي منقبة كريمة  
يتوثق كل فضل ينسب إلى هذا اللسان المبين .

~~~~~

الثاني : ما جاء عن الأئمة بشأن تفضيل العربية على غيرها

لقد شاع القول بذلك التفضيل عند القدماء ، وأقامه كثير منهم على  
معايير لغوية ، وأقامه آخرون على معايير نقلية أو دينية - كالتى أسلفناها -  
غير جاحدين أو معرضين عما قرره المعايير اللغوية .

فهذا الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤ هـ) صاحب المذهب الفقهي  
المشهور يقول : « فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض ،  
فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع  
على التابع . وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي ﷺ ولا يجوز  
- والله أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف

الفقيه الحديث المؤرخ الأندلسي (٢٢٨ هـ) ، وانظر الجامع الكبير ٢٣/١ حيث حديث « أحبوا  
العرب ثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي » وقد طعن فيه الذهبي  
وابن الجوزي بالوضع .

(١) ديوان الأدب ٧٠/١ - ٧٣ .

(٢) الأفعال ٥٠/١ .

(٣) ذكر في المقدمة حديث « أحبوا العرب ثلاث » انظر التعليق رقم (٤) بالتصفة السابقة .

(٤) انظر الأفعال (أبو الفضل) ١٦٣/٢ أخرجه ابن أبي نجاة عن سفيان الثوري .

وانجد» (١). ثم يقول : « وما ازداد من العلم باللسان الذي جعل الله لسان من نحم به نبوته ، وأنزل به آخر كتبه كان خيراً له » (٢). وبعد تفضيله هذا اللسان العربي على أساس أنه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، وقضائه بضرورة أن يكون هو اللسان المتبوع لا التابع ، وجعله على تعلمه لأنه لسان خاتم الأنبياء وآخر الكتب - يقرر في أكثر من موضع أن « لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا يعلمه بحيطاً بجميع علمه إنسان غير نبي » (٣). وبذلك يضع أيدينا على بعض وجوه التفضيل التي هي من الخصائص اللغوية ، وهي كثرة الألفاظ أو المفردات ، وسعة المذهب أو كثرة وجوه التصرف ،

— وهذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ) يقول ، وهو يصدد ذكر ما يتطلبه الرد على الشعوية : « ولا بد من أن تذكر الدليل على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثال التي ضربت فيها أجود وأبهر. (وأن تذكر) الدليل على أن البديهة مقصورة عليها ، وأن الارتجال والإقتضاب خاص فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي تسميه الزوم والفرص شعراً ... » (٤) ويقول : « والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأريت على كل لسان » (٥).

وفي هذا الذي ذكره الجاحظ تفضيل صريح للعرب ولغتهم يتخلل كثيراً من الخصائص التي سنتناولها في ما بعد .

- (١) الرسالة للإمام الشافعي تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر ص ٤٦ .
- (٢) نفسه ص ٤٩ .
- (٣) نفسه ص ٤٢ . ويقول في ص ٥٠ : « لأنه لا يعلم من إفصاح جمل علم الكتاب أحد جهل لغة لسان العرب وكثرة وجوه » .
- (٤) انظر البيان والتبيين ٢٨٣/١ ثم تابع القراءة لتجد النص الذي نقلناه في الريح الأخير من ص ٢٨٤ (المثنى) وأعد الكرة ليتضح سياق الكلام .
- (٥) البيان والتبيين ٥٥/١ .



وهذا أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ) يقول : « وإنما يعرف فضل القرآن من كثرة نظره واتساع علمه وفهم مذاهب العرب وافتقارها في الأساليب ، وما تحض الله به لغتها دون جميع اللغات ؛ فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيَتْ من العارضة ، والبيان ، واتساع المجال ما أوتيته العرب . . . . . حصص من الله لما أرمضه في الرسول صلى الله عليه وسلم وأرادة من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب . . . (١) فراه يشفع الكلام عن فضل القرآن بالكلام عما خص الله به لغة القرآن العزبية من العارضة والبيان واتساع مذاهب العرب وافتقارها في الأساليب . وهذا قريب مما قرره الشافعي ، لكن ابن قتيبة أضاف تفاصيل محددة للخصائص التي تميزت بها العربية في نحو عشرة مجالات . . . . . سينعرض لها في ما بعد .

~~~~~

وهذا أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧ هـ) يقول : « وأما اللغة . . . وهي العربية التي فضل الله عز وجل بها العرب ، وأنطقهم بها . . . فهي لغتهم . . . كما أن لكل قوم لغة يتكلمون بها . . . (٢) كما يروي عن الزجاج أنه سمع أبا العباس المبرد يقول : « كان بعض السلف يقول : عليكم بالعربية فإنها للزوجة الظاهرة ، وكلى كلام الله عز وجل وأتياته وملائكته . . . (٣) . . . . .

~~~~~

— وهذا أبو إبراهيم الحناني (٣٥٠ هـ) صاحب ديوان الأدب يقول : بعد أن قرر أن الله فضل المصطفى صلى الله عليه وسلم بكل فاضل ونفيس من زمان ، وبلد ، وأصحاب ، وإبيم ، وتقطيع ، وخلق ، وسمت ، ونسب ، وعتره ، وأمة ، ولسان : « فأما الزمان فهو زمان العلم والبيان ، والقصاحة ، والبلاغة ، والمنظوم والمثور ، يتبارى أهله في ذلك شطيناً شأوهم ، بعيداً غورهم . . . وأما اللسان فهو كلام خير الله في دار الخلد ، وهو المنزه عن بين الألسنة من كل

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (الشيخ صفير) ص ١٢

(٢) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص ٩١

(٣) نفسه ص ٩٥

تقيضة ، والمعل على كل خصيصة ، والمهذب بما بهجن أو يستشنع .  
فبئني مباني باين بها جميع اللغات :

من إعراب أوجده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون حلاه به ،  
قلم يجمع فيه بين ساكنين ، أو متحركين متضادين ، ولم يلاق بين حرفين  
لا يأتلفان ، . . في خلال كثيرة من هذا الشكل لا تحصى (١) .

— وهكذا فضل القاراني العربية على سائر اللغات بأنها كلام أهل الجنة ،  
وأنها منزهة عن كل تقيضة ، وأنها اختصت بالإعراب وحسن التأليف .

~~~~~

— وهذا أبو الفتح عثمان بن جني يقول في المحتسب : « فاقلبنا (اللهم) إلى  
كنز جنتك التي لم تخلق إلا لمن وسع ظل رحمتك ، واجعل أمامنا هادياً  
من طاعتنا لك ، وزكوات ما علمتنا من وجوه حكمتك ، وشرحت  
صدورنا لمعرفته من لطائف مودعات لغة نبيك التي فضلتها على سائر  
اللغات ، وفرعت بها فيه سائر الدرجات » (٢) .

والحقيقة أن القول بتفضيل ابن جني للعربية يصبح من قبيل تحصيل  
الحاصل إزاء افتتانه بإحكام العربية وسحر أسرارها افتتانه هزّه عن مذهب  
المعزلة في القول بأن اللغة اصطلاحية — وقد كان هو منهم — ليقول : « إنني  
إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة  
والدقة ، والإرهاف والرقّة ، ما يملك على جوانب الفكر ، حتى يكاد  
يطمح به أمام غلوة السحر » .

فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله . ومنه ما يحذونه على أمثلهم .  
عرفت بتابعه واتقياده ، وبعد مراميه وآماده ، محبة ما وقفوا لتقدمه منه ،

(١) ديوان الأدب ١/ ٧٠-٧٢ . . . . . (٢) المذهب ١/ ٢٨ .

تجريدات في اللغة العربية (م ٣) — بحبائش اللغة العربية .



ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم عنه ، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار  
المأثورة بأنها من عند الله عز وجل ، فقوى في نفسه كونها توقيفاً من الله  
مبجحانه ، وأنها وحى (١) .

ولسنا بحاجة إلى القول بأن اعتقاد كون لغة ما وحياً من عند الله هو قوة  
التفضيل لهذه اللغة ، لأن الموحى به من عند الله لا يكون إلا على الدرجة  
التامة من الصواب والكمال والإحكام في بابه .

— وقد فصل ابن جنى كثيراً مما نسبته إلى هذه اللغة في عدد كبير من أبواب  
كتابه الخصائص ، وسيأتي أكثره إن شاء الله تعالى .

#### ~~~~~

فإذا جئنا إلى الإمام أبي الحسين أحمد بن فارس ( ٣٩٥ هـ ) وجدناه  
أصرح القوم في « القول بأن العربية أفضل اللغات وأوسعها » (٢) إذ عنون  
بذلك أحد أبواب كتابه الصحاح ، كما عقد باباً للذكر « ما اختصت به  
العرب » (٣) ذكر فيها من تلك الخصائص الإعراب ، والشعر ، والعروض ،  
وعقد باباً ثالثاً سماه الخصائص (٤) جاء فيه عبارات عربية « لا يجوز نقلها  
إلى غيرها » يعني تصعب ترجمتها . . . هذا إلى أنه نثر في كتابه هذا عشرات  
مما عده خصائص أو سنناً للعرب في كلامهم . وقد سبقه إلى القول بذلك  
كله ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن (٥) .

وقد عقد السيوطي « نوعاً » في المزهو سماه معرفة خصائص اللغة (٦)  
( العربية ) كلّه تقريباً متقى من كلام ابن فارس جمع فيه خصائص وسمناً  
قاربت الخمسين (٧) وسفرغ لعرض ما تيسر منها بعد قليل .

#### ~~~~~

وقال الإمام إسماعيل بن حماد بن حماد الجوهري ( نحو ٤٠٠ هـ ) في  
مقدمة معجمه الصحاح :

- 
- (١) الخصائص ١/٧٠ - ٧٢ . (٢) الصحاح ص ١٦ .  
(٣) نفسه ٧٦ . (٤) نفسه ص ٤٤٦ .  
(٥) انظر تأويل مشكل القرآن ١٢ - ٣٢ : ٢٩٨ - ٢٩٩ .  
(٦) المزهو ١/٢٢١ .  
(٧) هي في المزهو ١/٣٢١ - ٣٤٥ وقد أحصيتها فبلغت ستاً وأربعين .

« أما بعد فإني قد أودعت هذا الكتاب ما صحح عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها . »

~~~~~

ويقول أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي ( المتوفى بن ٤٠٣ - ٤١٠ تقريباً ) :

« وإن أشرف ما عني به الطالب بعد كتاب الله عز وجل لغات العرب وآدابها ، وطرائف حكمها ؛ لأن الله تبارك وتعالى اختارها بين اللغات لخير عترة ، وأشرف أمة ، ثم جعلها لغة أهل دار المقامة في جواره ومحل كرامته . فهي أفصح اللغات لساناً ، وأوضحها بياناً ، وأقومها مناهج ، وأثقفها أبنية ، وأحسنها بحسن الاختصار تألفاً ، وأكثرها بقياس أهلها تصرفاً » (١) .

~~~~~

— أما أبو منصور الثعالبي ( ٤٣٠ هـ ) فقد جعل الاعتقاد بأن العرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة من سلامة السريرة في الإيمان (٢) .

~~~~~

— وأما ابن سنان الحفاجي ( ٤٦٦ هـ ) فذكر أنه لاختفاء بميزة العربية على سائر اللغات ، لما فيها من السعة ، وأنها مع ذلك أخصر اللغات في إيصال المعاني ، ولتجنب الثقل في ألفاظها ، ولأن أصحابها العرب لا تنازعهم أمة في فضائلهم ، ولا تباريهم في مناقبهم ومحاسنهم (٣) .

~~~~~

— وقال جبار الله الزمخشري ( ٥٣٨ هـ ) في مقدمة كتابه الفائق : « الحمد لله الذي فتق لسان الذبيح ، بالعربية المبينة والخطاب الفصيح ، وتولاه بأثرة التقدم في النطق باللغة التي هي أفصح اللغات ، وجعله أبا عذر البلاغة التي هي أتم البلاغات » (٤) .

---

(١) الأفعال للسرقسطي ٥١/١ .

(٢) انظر أول مقدمة كتابه فقه اللغة وسر العربية .

(٣) انظر سر الفصاحة ٤٨ - ٥٧ .

(٤) الفائق ( أبو الفضل والبجاوي ) ١١/١ .



وقال في مقدمة معجمه الأساس: «وأولى ما قلناه به حمد الله تعالى : الصلاة على النبي العربي المستل من سلالة عدنان ، المفضل باللسان اللبني استخزنه الله الفصاحة والبيان ، وعلى عترته وصحابته مداره العرب وفحولها ، وتقرر بني معد وحجولها» (١) .

~~~~~

وفي ما أسلفناه من إجمال آراء متقدمي اللغويين في تفضيل اللغة العربية غنى عن تتبع سائرهم . فكلهم ينوّهون بهذه اللغة الشريفة ويعتزون بها . وكثيرون منهم يصرّحون بتفضيلها (٢) .

~~~~~

وقد قلنا في مقدمة هذا التمهيد إننا نجتزئ بما يتقرر في تفصيل الخصائص تبيناً أو تصديقاً ( عقلياً ) لمعنى هذا التفضيل ولجوانبه .

— أما الذين يعيبون فكرة تفضيل لغة ما على غيرها ، ويرون استبعاد هذه المسألة من مجال البحث اللغوي لأنها غير « علمية » فإننا نقول لهم : إن اللغات تتفاضل من حيث هي ومائل للبيان ، أى من حيث كفايتها ! واقتدارها في أداء وظيفة اللغة — وهذه نقطة علمية ولاشك . وتفاضل اللغات في أداء وظيفة اللغة أمر لا شك فيه . وهذه الخصائص تعالج بجوانب هذه الكفاية أو أكثرها وأهمها ، ومن أجل هذا قلنا إننا نجتزئ بعرضها وتحقيق أمرها فيصلا لقبول هذا التفضيل أو عدم قبوله . ثم إن الجانب الديني البحث كاعتقاد أن العربية أفضل عند الله عز وجل ، أو أنها أوحيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أنها لغة أهل الجنة . . إلى آخر ما قد يؤخذ من الآيات والأحاديث التي أسلفناها ، فهذا منوط اعتقاده بالنسبة للمسلم ثبوته القطعي بالأدلة الشرعية . أما بالنسبة لغير المسلم فإن واجبه أن يبحث لنفسه . ولا تفرض — أو نطالب بفرض — عقائدنا على أحد ، ف « لا إكراه في الدين » .

(١) انظر مقدمة الأساس .

(٢) انظر — مثلاً — مقالات المصطفى ٢/١ ، وشمس العلوم لقاضي . نشوان بن سعيد

٢/١ ، ولسان العرب ٢/١ .

## الخصيصة الأولى : البيان

وربما كان أول من ذكر البيان باحتسابه خصيصة للغة العربية هو ابن قتيبة في قوله المجمل التي أسلفناها ، وقد ذكر فيها ما خص الله به لغة العرب دون جميع اللغات من الافتتان في الأساليب . وأنه « ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة ، والبيان ، واتساع المجال ما أوتيته العربية بخصيصة من الله » (١) .

وقد احتج ابن فارس لاختصاص العربية بالبيان بحجة قرآنية واضحة . هي قوله تعالى في وصف القرآن أنه نزل « بلسان عربي مبين » (٢) قال ابن فارس : « فوصف الله جل ثناؤه اللسان العربي بأبلغ ما توصف به ( اللغة ) وهو البيان » (٣) أقول : وإنما كان البيان أبلغ ما توصف به اللغة لأنه هو رأس وظائفها وأخص ما تراد له . فإذا وصف الله به لغة كان ذلك دليلاً على تحقق هذه الصفة فيها على أكمل الوجوه . ومن ثم كانت هي أكمل اللغات .

ويضيف ابن فارس إلى احتجاجه القرآني لوصف العربية بالبيان احتجاجاً قرآنياً لكون البيان هو أعظم نعم الله على الإنسان بأنه تعالى قدم ذكر البيان على سائر ما امتن به من نعم وآلاء على الإنس والجن في سورة الرحمن ، إذ قال تعالى في أولها : « الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد صفرس ١٢ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٩٥ .

(٣) صاحب ابن فارس تحقيق السيد صفرس ٨٦ بتصرفه يغير .



البيان» (١) ثم يقول ابن فارس : « فلما خص الله اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه » (٢) ويعني ابن فارس أن اللسان العربي فاق سائر اللغات لأنه يمثل إحدى نعم الله العظمى على الإنسان — وهي نعمة البيان — أقوى تمثيل وأجلاله .

والبيان لفظ مجمل . قال الإمام الشافعي : « والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول ، متشعبة الفروع » (٣) . أقول : والمراد به هنا الكشف بالعبارة اللغوية عما يقع في النفس من مشاعر وخواطر وفكر تتعلق بالأشياء المحيطة أو تتولد في الحس الباطن بوجه ما . يقول الجاحظ : « والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويبحث عليه .

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محضوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل . . » (٤) وقد قلنا منذ قليل إن المراد هنا هو البيان بالعبارة اللغوية وحده — دون الإشارة والعقد والخط والنصبة التي يمهّد الجاحظ بكلامه هذا للحديث عن كل منها .

وإذا كان هذا هو معنى البيان فإن المقصود هنا بالبيان الذي خصت به العربية هو كمال البيان اللغوي أي الصورة العليا منه — وليس مجرد البيان لأن مجرد البيان قد يتأتى بغير العبارة اللغوية ، كما أنه في مجال العبارات اللغوية يتأتى بمستويات شتى تشترك فيها سائر اللغات ولا تختص العربية إلا بأعلاها وهو المراد هنا .

وفي تحرير هذا المراد يقول ابن فارس : « فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربي ، لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين . قيل

(١) انظر الصحاح ١٦ وقد فصلت ما أجمله .

(٢) الصحاح ص ١٦ .

(٣) الرسالة للإمام الشافعي ( شاكر ) ص ٢١ .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ( جارون ) ١/٧٥ - ٧٦ .

له : إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده ، فهذا أنحس مراتب البيان ؛ لأن الأبيكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ، ثم لا يسمى متكلماً — فضلاً عن أن يسمى يميناً أو بليغاً . وإن أردت أن سائر اللغات تُبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط ؛ لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ؛ وكذلك الأسد والقرص وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذلك ؟ وأين لسائر اللغات من البسطة ما للغة العرب ؟ هذا ما لا خفاء به على ذي شهية (١) .

ونحن نلاحظ أن ابن فارس اعتمد في إثبات اختصاص العربية بالبيان في مستواه الأعلى على اختصاصها بأحد العناصر التطبيقية للبيان — وهو الترادف ، لأن مصطلح البيان مجمل كما أسلفنا . ونحن بدورنا لا نستطيع أن نحقق مدى اختصاص العربية بالبيان إلا من خلال دراسة دعوى اختصاصها بعناصره التطبيقية التي أسلفنا عرضها ، فلنبداً بدراستها حسب ما رتبناه .





## الخصيصة الثانية : وهي من الخصائص الفصيلة للبيان زيادة حروف المباني في العربية عن غيرها

أول من ذكر زيادة حروف المباني في العربية عنها في غيرها أبو محمد  
عبد الله بن مسلم ( بن قتيبة ) في قوله :

« وألفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفاً - وهي أقصى طوق  
اللسان ، وألفاظ جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين . ولست واجداً  
في شيء من كلامهم حرفاً ليس في ( حروفنا ) إلا معدولاً عن مخرجه شيئاً ،  
مثل الحذف المتوسط مخرجي القاف والكاف ، والحرف المتوسط مخرجي  
الفاء والباء » (١) .

وقد سبق الخليل رضي الله عنه فقرر « أن الفاء حرف يخص به لسان  
العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم » (٢) وقال الأصمعي : « ليس  
للروم ضاد ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسرياني ذال » (٣) وحكى ابن سنان  
ما قاله الأئمة من اختصاص لغة العرب بالفاء والضاد » (٤) وسنحقق كل  
هذا بعون الله في ما بعد .

وحروف المباني هي الحروف التي يتركب منها الكلام أي حروف  
الأبجدية مجردة . وكلما كثرت تلك الحروف زادت الفرصة لتكوين مواد

---

(١) تأويل مشكل القرآن ( السيد صقر ) ، ويقصد بالمتوسط مخرجي القاف والكاف  
الجم الفارسية G ، والمتوسط مخرجي الفاء والباء الفاء المجهورة V .

(٢) لسان العرب أول باب الفاء . (٣) البيان والتبيين ١/ ٦٥ .

(٤) سر الفصاحة ٥٦ .



وتراكيب لغوية . فالحرفان مثلاً يمكن أن تتركب منهما تركيبين ثنائيين ليس  
فيهما حرف مضاعف ( ا ، ب يتكون منهما أب ، با ) . وثلاثة الأحرف  
يمكن أن يتكون منهن ستة تركيبات ثنائية ، وستة ثلاثية لا يضاعف حرف  
في أي منهن ( ا ، ب ، ج يتكون منهن أب - أج - بج - با - جا - جب :  
ثنائيات . ويتكون منهن أبع - بجا - جاب - أجب - جبا - باج ) . وأربعة أحرف  
يمكن أن يتكون منهن اثنا عشر تركيباً ثنائياً ، وأربعة وعشرون تركيباً لغوياً  
ثلاثياً ، وكذلك أربعة وعشرون تركيباً رباعياً . . . وهكذا (١) . وكل هذا  
دون تضعيف أي حرف في تكوين أي تركيب . أما عند قبول التضعيف  
فإن الحرفين يمكن أن يتكون منهما أربعة تراكيب ثنائية ( ب ج يمكن أن  
يتكون منهما بب ، جج ، بج ، جب ) وثلاثة الأحرف يمكن أن يتكون  
منهن تسعة تراكيب ثنائية ، وسبعة وعشرون تركيباً ثلاثياً . وأربعة الأحرف  
يمكن أن يتكون منهن ستة عشر تركيباً ثنائياً ، وأربعة وخمسون تركيباً ثلاثياً ،  
وست وخمسون ومثلاً تركيب رباعي وهكذا (٢) . فإن زيادة حروف البناء  
الأيحدية في لغة ما تعنى زيادة فرص تكوين المواد اللغوية . ومناطق القيمة في  
إضافة المواد اللغوية الجديدة أو توفر الفرص لتكوينها هو إتاحة الفرص  
لقولية المزيد من المعاني والفكر التي لم تسك من قبل في كلمات مسموعة أو  
مقروءة . واللغة التي تتيح ذلك أولى اللغات بالإنسان لأنها تبسط وجوده  
الفكري إلى آفاق أرحب مما يتيحها غيرها مما تقتصر مكونات ألفاظها عن مكونات  
ألفاظها . والآن فما حقيقة دعوى ابن قتيبة رحمه الله أن حروف المباني في  
العربية أكثر منها في غير العربية إذ تبلغ ثمانية وعشرين ، وحروف « جميع  
الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين » ؟ وبعبارة أخرى هل صحيح أن لغتنا العربية  
أغنى اللغات بالأصوات اللغوية أو بحروف المباني خاصة ؟

إن إجابة هذا السؤال تقتضي إحصاء عدد الأصوات اللغوية في لغتنا

(١) يمكن شرح هذا بطريقة التحليل على الدائرة وبحساب التباديل الحديث .

(٢) يتم هذا بضرب عدد الحروف المتاحة في نفسه مرات بعدد الحروف التي يراد  
وضعها في التركيب الواحد . وانظر المسألة الخامسة عشرة من النوع الأول في المزهر للسيوطي  
٧١/١ مع التنبيه لأخطاء النساخ هناك .

العربية وفي لغات العالم بقدر ما تتيحه المصادر . كما تقتضى عقد مقارنات بين العربية وأشهر اللغات العالمية أو أدعائها للمقارنة بالعربية .

فأما في لغتنا العربية فهناك ( ٣٤ ) أربعة وثلاثون صوتاً لغوياً ( حرفاً ) متميزاً ومستعملاً هي ( الهمزة ) ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي ثم ألف المد وواو المد وياء المد ثم الفتحة والضمة والكسرة (١) . وهناك أيضاً أصوات عربية فرعية ذكر منها سيويه النون الخفية ، والهمزة التي بين بين ، والألف التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم ( مثل ل وتسمع في نحو أشداق وأشغال ) ، والصاد التي كالزاي ( في نحو مصدر إذا تساهلنا في الصاد فجهرنا صوتها ) ، وألف التفخيم في لهجة الحجازيين ( في مثل الصلوة ) . . . وهذه الأصوات الفرعية عدها سيويه مستحسنة يكثر استعمالها « ويؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار » (٢) . وبها بلغت عدة الأصوات العربية أربعين . ويمكن أن يضاف إليها حرفان مما سمته الدراسات الأوربية صوتاً مزدوجاً *diphthong* وقد تنبه إليهما الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي المتوفى ١٨٩ هـ ؛ إذ سمى الواو التي قبلها فتحة والياء التي قبلها فتحة حرفين منبسطين (٣) . وبهما تبلغ عدة أصوات العربية اثنين وأربعين .

ويمكن أن يضاف إليها — مما يستحسن ويقرأ به القرآن أيضاً — الإمالة الخفيفة للألف ، والفتحة الممالة ، والفتحة المفخمة ، والروم والإشمام . ( هذا والحركات الست الشكلات والمدات — لكل منها ثلاث درجات ترقيق وتفخيم كامل وتفخيم متوسط وكلها عربي فصيح ) .

ثم ذكر سيويه أيضاً أصواتاً أخرى « غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة

---

(١) هذه الحركات تحسب أصواتاً أي حروفاً لأن لها مخارج وصفات وقيماً معنوية ورموزاً كتابية ثم إن نظائرها في اللغات الأخرى ( الحركات *Vowels* ) تحسب وتكتب ونحن بصدد المقارنة بين لغتنا واللغات الأخرى .

(٢) الكتاب لسيويه ٤/٤٣٢ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ١١٠ .



من ترتضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر ، وهي الكاف التي بين الجيم والكاف ( ويقصد الكاف الجيمية — الفارسية — أو يقصد كشكشة تيم حيث يبدلون كاف المخاطبة المؤنثة شيئاً أو يلحقون بها الشين ( في الوقف ) مثل إيكش ومنكش . ونسمع في بعض اللهجات من يجعلها كصوت Ch في الإنجليزية ) ، والجيم التي كالكاف ( الجيم القاهرية ( الكافية ) وقد عرفت في لهجة بعض قبائل اليمن القديمة ) ، والجيم التي كالشين ( في مثل اجتماعوا تنطق اشتمعوا ) ، والضاد الضعيفة ( كالتاء وكالزاي أو الظاء الخالصة وكالدال المفخمة ) ، والضاد التي كالسين ( شائعة في نطق النساء ) والطاء التي كالتاء ( شائعة في نطق أهل الوجه البحري من مصر ) ، والطاء التي كالتاء ، والباء التي كالفاء (١) .

وتعرض ابن سينا خمسة عشر صوتاً فرعياً بعضها عرض هنا . ومن أهم ما لم يذكر القاف الخفيفة ( مثل G ) والراء الغينية واللامية واللام المطبقة (٢) .

وأما في اللغات الأخرى فقد أحصيت ما عرضته دائرة معارف تشمبرز من الأصوات الصامتة Consonants فبلغت ستاً وخمسين وذلك بصرف النظر أيضاً عن تكرار بعضها بحسب اختلاف مخرجه (٣) ، وعن مدى استقلال كل منها بقيمة معنوية (٤) . وعلى هذا المستوى يمكن أن نقول إن في لغتنا من الصوامت نحو ٤٥ صوتاً من بين الأصوات العالمية الستة والخمسين وأكثرها مشترك بين لغتنا واللغات الأخرى أي موجود فيهن على السواء كأصوات الباء والتاء والدال والراء والسين والزاي والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء وغيرها — وحروف العربية بهذا العدد تشكل نسبة عالية جداً يندر أن يكون لها نظير بين لغات العالم . ولكن المقارنة الدقيقة في رأينا هي التي تعقد بين العربية ولغات معينة .

- 
- (١) المرجع السابق ويرجع الدكتور تمام حسان أن هذه الباء هي الـ P ينطقونها فاء حين يعربونها ( برزدة فرزدق ) ( اللغة العربية معناها ومبناها ٥٦ ) وأهلوسيون في نيجيريا ينطقون الباء فاء .
  - (٢) أسباب حدوث الحروف للرئيس ابن سينا ١٤ — ١٦ .
  - (٣) صوت R مثلاً ذكره مرة بين الحروف الثوية الأسنائية ، ومرة مع الحروف الهوية لأنه لهوى في بعض اللغات ( كالفرنسية ) .
  - (٤) كما سيتضح بالكلام عن الوحدة الصوتية والصوره الصوتية .

إن هذه المقارنة تجرنا إلى التفرقة أولاً بين الوحدة الصوتية (فونيم) Phoneme والبديل الصوتي (أو الصورة الصوتية) Allophone (١) فالوحدة الصوتية هي الصوت أو مجموعة الأصوات التي تعبر عن قيمة أبجدية واحدة مهما تعددت صورها أو تغيرت صفاتها — (أى أنها تعبر عن حرف أبجدي واحد بعينه) ، وذلك أن الأفراد مختلفون في أداء أصوات اللغة قليلاً أو كثيراً لأسباب فردية أو قبلية أو جغرافية أو غيرها . فهناك من ينطق الجيم — مثلاً معطشة (ج) ، ومن ينطقها قاهرية (كالكاف الفارسية كسك — G) ومن ينطقها شامية (جـ L) (٢) فكل هذه صور صوتية أو بدائل صوتية لوحدة صوتية واحدة . وبعبارة أخرى فكل هذه الجيمات صوت أبجدي (أو حرف) واحد ، لأن قيمتها في الأبجدية — على نطاق الاستعمال اللغوي التفصيلي المعترف به — واحدة . أى أن وجود أى منها في الكلمة يكفى لتحمل نفس المعنى (فالجيمёл بأى نطق للجيم هو الجيمёл المعروف) ، ولا يؤدي استعمال واحدة منها بدل الأخرى إلى تغيير المعنى . وكذلك الأمر في س «السرراط» فلا يختلف معناها عند من يقرؤها «الصراط أو الزراط» وكذلك س (الصندوق) لا يختلف معناها عند من ينطقها (السندوق أو الزندوق) وهكذا . فكل من الجيم والسين والصاد (فونيم) واحد أى وحدة صوتية واحدة لها ثلاث صور . وعلى ذلك فقد يكون للوحدة الصوتية عدة صور أو بدائل كالجيم والطاء والظاء والضاد والصاد والقاف . . . وقد لا يكون لها صور متعددة معروفة أو مشهورة كالباء والتاء والحاء . . . إلخ — وإن كانت الدراسة الصوتية الحديثة تثبت أن لكل وحدة عدة صور ، نظراً لاختلاف الأفراد

(١) ننبه هنا إلى أن مصطلحي الوحدة الصوتية (الفونيم) ، والبديل الصوتي — مع أنهما حديثان في الدراسة الصوتية إلا أن بذرتهما في الدراسة العربية موجودة منذ تكلم سيبويه والعلماء العرب بعده عن الحروف الأصلية والحروف الفرعية، وصرح ابن مجاهد بأن مثل هذا الفرعي لا يبنى عليه الكلام ولا هو من حروف المعجم والذي أثار المشكلة حديثاً هو ما أثبتته أجهزة قياس الأصوات من أن الناس لا تنطق الصوت الواحد — كالباء أو التاء إلخ بصورة واحدة ، بل إن الشخص الواحد يختلف مقاييس أدائه للحرف نفسه في كل مرة عن غيرها ، وكل من هذه المرات هو بديل للحرف إلا أننا لا نأخذ إلا ما وضح وتميز . . . . .

(٢) ولكل ذلك أسماه القليل الموروث عن العرب . . . . .



اختلافاً طبيعياً في نطق الأصوات اللغوية ، بل لاختلاف نطق الفرد الواحد للصوت عينه كل مرة عن الأخرى .

والآن فإنه عند حساب أصوات لغة ما ينبغي أن تحسب وحداتها الصوتية لا صور الأداء الصوتي . ولا يعنى هذا بالنسبة لاستعمالات صندوق وزندوق — مثلاً — أن السين والزاي لا تحسبان ضرورة ضمن وحدات الأصوات العربية . وإنما الأمر أن الصوت اللغوي — منهما أو من غيرهما — إذا كان يشترك في بناء ألفاظ عربية باحتسابه صوتاً متميزاً في اللغة فإنه ينبغي أن يحسب من وحداتها الصوتية حتى لو كان هذا الصوت نفسه يستعمل في بعض الحالات بديلاً لصوت لغوي آخر كالسين والزاي هنا ، أما إذا اقتصر دوره في اللغة على كونه يظهر أحياناً كبديل لإحدى الوحدات الصوتية فإنه لا يحسب من أصوات اللغة أو (فونياتها) وذلك كالجيم الشامية والكافية مع الجيم المعطشة وعلى هذا فصوت *J* ، كـ *G* لا ينبغي أن يحسب ضمن أصوات العربية لأنهما مجرد بدائل صوتية هنا ولم يستعملا بصورة عامة في بناء الألفاظ العربية : بينما كل من الكاف والقاف (في ملك وملك) مثلاً ، والذال والطاء في (قد وقط) ، والثاء والسين في (عثر وعسر) ... كل واحد منها في تلك الثنائيات وحدة صوتية (فونيم) ، لأنه مستعمل في اللغة بصورة عامة في بناء ألفاظ اللغة ، وهناك فرق في المعنى بين الكلمة التي يشترك هو فيها والكلمة التي يشترك فيها صنوه (١) .

وبهذه النظرة — وهي موضوعية — نجد أن في العربية ٣٤ صوتاً (ثمانية وعشرون صوتاً صامتاً وست حركات) ، وفي الإنجليزية ٢٦ صوتاً منها المركب *X* الذي يمكن الاستغناء عنه بغيره ، كما يمكن أن يحذف منها صوت

---

(١) الكلام عن الفونيم مبسوط في دائرة المعارف البريطانية (١٧/٧٧٤) وفي دائرة معارف تشمبرز Chambers وانظر تناولا له في الأصوات اللغوية د. أنيس هـ ، واللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان هـ ، علم اللغة د. محمود فهمي حجازي ص ٦ وتناولا مبسوطاً في « علم اللغة العام د. عبد الصبور شاهين ١١٥ — ١٣٤ .

ج إذ تغنى عن نطقها K, S (١) — كما يمكن أن يضاف إليها صوت الشين (Sh) والذال أو الثاء (th) لأنها وحدات صوتية شائعة فيها — بالرغم من عدم وضعهم رموزاً لها : وتتميز بصوتى P ، V . وبذا تبلغ أصواتها تسعة وعشرين وكذلك الحال في الفرنسية . أما اليونانية واللاتينية فلكل منهما ٣٤ صوتاً .

« وفي الفارسية الحديثة اثنان وثلاثون حرفاً هي الحروف العربية الثمانية والعشرون مضافاً إليها الحروف الأربعة ب P ، ج ch ، ر (الحرف الذى يشبه نطقه نطق S فى Pleasure ، كك وهى كالجيم القاهرية . وتنطق الثاء والصاد كالسين والحاء كالهاء ، والذال والضاد والظاء كالزاي ، والعين كالمهزة ، والطاء كالثاء ، والقاف كالغين أو الكاف أو القاف تبعاً لاختلاف اللهجات والواو ينطق بها كما ينطق بالحرف V وفى بعض اللهجات ينطق بها كما فى العربية (٢) . ويتأمل يسير يمكن طرح تسعة أحرف من هذه الإحصائية ، لأنها مجرد بدائل ، ولعلها مستعارة أساساً من العربية — يبقى للفارسية ثلاثة وعشرون صوتاً صامتاً . كما أن للفارسية عشر حركات كثير منها صور أدائية بشروط خاصة ، لها فى العربية نظائر تفوقها عدداً . . فالعربية أكثر حروفاً من الفارسية أيضاً .

فإذا جئنا إلى العبرية . وهى لغة سامية كالعربية وجدنا أن لها أيضاً ثلاثة وعشرين صوتاً صامتاً ، ومنها ستة أحرف لها بدائل تعوض نقصها ، فقد تنطق الباء فاء V ، والجيم غيناً ، والذال ذالا ، والكاف خاء ، وال P فاء ، والتاء ثاء . وفى العبرية ثمانى حركات بعضها صور أدائية فى العربية أمثالها (٣) : وهكذا يتبين أن العربية أكثر حروفاً من العبرية أيضاً .

هذا وقد قرر بعض الباحثين أن عدد الفونيمات فى اللغات المختلفة يتراوح

(١) هذا استنتاج مما جاء فى موسوعة تشمبرز من أن صوت ال K فى cottage، Keep (فونيم) واحد .

(٢) القطوف والباب للعلامة حامد عبد القادر ص ٨ .

(٣) انظر التوطئة فى اللغة العبرية د. قواد حسين على ١٥ - ١٨ .



بين ١٠ / ١٢ ، ٧٠ / ٨٠ (١) . والمترجح أن هذا الباحث نظر إلى الرموز المكتوبة للأبجديات ، ولم يسقط الرموز التي تمثل أصواتاً مركبة ، وأنه احتسب في هذا الإحصاء الصور الصوتية أيضاً .

وأيا كان فإنه بمقارنته العربية باللغات المشهورة أوربية وغيرها يتبين أن العربية أثري تلك اللغات بالوحدات الصوتية .

وبهذا التحليل العلمى يثبت ما قرره ابن قتيبة من زيادة حروف المباحة في العربية عنها في سائر اللغات .

وجدير بالذكر هنا أنه من الثابت أن اللغات الأوربية تخلو من صوت العين والحاء ، كما أن المستشرق برجستراسر شهد لما قرره أئمة العرب من اختصاص العربية بالضاد (٢) . في قوله : « فالضاد العتيقة حرف غريب خطاً غير موجود على حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية » (٣) . أما بقية قوله وهو « ويغلب على ظنى أن النطق العتيق للضاد لا يوجد عند أحد من العرب » (٤) فهو ظن تخالفه الحقيقة الواقعة . وهى أن الضاد الفصحى ينطقها خاصة المثقفين في العربية السعودية وفي العراق . .

هذا وقد أسلفنا ما ذكره الخليل أن الظاء حرف خص به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم (٥) وقد حقق قولته هذه خبراء بلغة الأعاجم هم الجوالقي (٦) وأبو حيان عن شيخه ابن أبى الأحرص (٧) — وهما أندلسيان .

(١) الأصوات والإشارات كندارتوف . ترجمة شوقي جلال ص ٢٩ .

(٢) قرر ذلك الأصمى (البيان والبيان ١/٦٥) وابن جنى (سر صناعة الإعراب

١/٣٢٢) وحكى ذلك ابن فارس ، وذكره الزبيدى في تاج العروس ٢/٤٠٦ . .

(٣) التطور النحوى تحقيق د. رمضان عبد التواب ١٨ .

(٤) نفسه .

(٥) اللسان أول باب الظاء والقاموس غوى/ظى .

(٦) المغرب للجوالقي ٢٦٨ آخر باب الصاد . . . . .

(٧) تاج العروس ٢/٤٠٦ . . . . .

وفي مقابل ذلك ربما كان أهم ما تتميز به اللغات الأوربية هو الفاء  
المجهورة V ، وأقل منه أهمية الباء المهموسة (١) .

---

(١) ذكر ابن سنان أن العربية دخلت من حروف توجد في لغة الأرمن التي حكى أنها  
تبلغ ستة وثلاثين حرفاً ثم قال : « ولا أنك إذا تأملتها وجدت بعض الحروف التي فيها يتشابه بعض  
كثيراً » سر الفصاحة ٥٧ وتحليل مجدولة أصوات تشمبرز الذي أسلفناه يحقق آخر كلام ابن  
سنان كما يحقق مقاله ابن قتيبة تماماً فليس في تلك المجدولة أصوات لم ترد في لغتنا على أي  
مستوى غير ال V وال P وهما معدولان عن الفاء والباء . أما الحرف الذي أوله فوق ساكنة  
وآخره جيم قاهرية فهو حرف مركب . لا يعتد به في الإحصاء لأنه يقع مقابله عدد كبير من  
كيفيات الأداء في قراءة القرآن الكريم مجوداً .

( م ٤ — خصائص اللغة العربية )





## النصيحة الثالثة : وهي من الخصائص المفصلة للبيان حسن تأليف مبادئ الكلام في العربية

ذكر هذه النصيحة أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي ( المتوفى نحو ٣٥٠ هـ ) ، كما ذكرها ابن فارس ( ٣٩٥ هـ ) ، وابن سنان الحفاجي ( ٤٦٦ هـ ) مصرحين - بصورة أو أخرى - بكونها مما تختص به العربية (١) . كما أن كثيرين من أئمة اللغة تناولوا موضوع هذه النصيحة بعرض ظواهر من حسن تأليف مبادئ الكلام في العربية ، ولكن دون أن يصرحوا باختصاص العربية بذلك . وسيأتي كل هذا أو أكثره - إن شاء الله تعالى .

— وقد أجمل ابن سنان ما يراد بهذه النصيحة في قوله : إن الواضع للغة العربية « تجنب - في الأكثر - كل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظه » (٢) ثم مثل - لما « تُجَنَّب - بالجمع بين الحروف المتقاربة في الخارج في بناء الكلمة ، وذكر أن تجنب الثقل روعي في الحركات أيضاً (٣) وكانت عبارة الفارابي بشأن هذه النصيحة : « وهو ( يعني اللسان العربي ) المنزه من بين الألسنة من كل نقيصة ، والمُعَلَّس على كل خسيصة ، والمهذب مما يهجن أو يستشنع ، قَبْنِي مَبَانِي بَابَيْنِ بِهَا جَمِيعُ اللُّغَاتِ : من إعراب أوحده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون محلاؤه به . فلم يجمع فيه بين ساكنين ، أو متحركين متضادين . ولم يلاق بين حرفين لا يأتلِفان ،

(١) انظر ديوان الأدب ٧٢/١ ، والصاحبي ( صقر ) ٢٠ ، ٨٧ ، وصر الفصاحة

٥٧ ، ٥٦ .

(٢) نفسه .

(٣) انظر صر الفصاحة ٥٠ .



ولا يغلب النطق بهما ، أو يشنع ذلك منهما في جرمس النغمة وحس السمع ، كالعين مع الحاء ، والقاف مع الكاف ، والحرف المطبق مع غير المطبق مثل تاء الافعال مع الصاد والضاد في أنخوات لهما ، والواو الساكنة مع الكسرة قبلها ، والياء الساكنة مع الضمة قبلها ، في خلال كثرة من هذا الشكل لا تحصى (١) وتناول بعض ذلك في موضع آخر وزاد حيث قال : « العرب تميل عن الذي يلزم كلامها الجفاء إلى ما يلين حواشيه ويرققها . وقد نزه الله لسانها عما يجفيه ، فلم يجعل في مباني كلامها جيباً تجاوزها قاف متقدمة ولا متأخرة ، أو تجامعها في كلمة صاد أو كاف — إلا ما كان أعجمياً أعرب ، وذلك لجساسة هذا اللفظ ومباينته ما أسس الله عليه كلام العرب من الروتق والعدوبة ، وهذه علة أبواب الإدغام وإدخال بعض الحروف في بعض . وكذلك الأمثلة والموازين اختير منها ما فيه طيب اللفظ ، وأهمل منها ما يجفو اللسان عن النطق به أولاً مكرهاً ( كذا ، ولعائها : إلا مكرهاً ) . كالحرف الذي يبتدأ به لا يكون إلا متحركاً ، والثني الذي تتوالى فيه أربع حركات أو نحو ذلك يسكن بعضها » (٢) .

— وذكر ابن فارس بعض تلك التفاصيل ، وزاد أيضاً . وذلك في قوله : « وما اختصت به العرب . . قلبهم الحروف عن جهاتها ليكون الثاني أخف من الأول . نحو قولهم « ميعاد » ولم يقولوا « ميوعاد » — وهما من الوعد ، إلا أن اللفظ الثاني أخف . ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين — وقد يجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن ، ومنه قولهم « يا حار » ميلاً إلى التخفيف ، ومنه اختلاصهم الحركات في مثل :

فاليوم أشرب غير مستحب إنما من الله ولا واغل

ومنه الإدغام ، وتخفيف الكلمة بالحذف ، نحو لم يلك ، ولم أبلى (٣) ،

(١) ديوان الأدب ٧٢/١ .

(٢) الزهر ٣٤٣/١ .

(٣) الصاحبى ( صقر ) ٢٠ .

وتناول في موضع آخر ما فهمل تركيبه من الألفاظ مقسماً إياه إلى ما لا يجوز ابتلاؤه لتنافر حروفه كجيم مع كاف . . . الخ ، وإلى ما يجوز ابتلاؤه ولكن العرب أعرضت عن تأليفه نحو « عضيخ » ، ثم ذكر قسماً من المهمل ثالثاً وهو ما يكون على خمسة أحرف ليس بينها أى من حروف اللدالة أو الإطباق (١) .

— فإذا عدنا إلى أقوال أولئك الأئمة لنستخلص منها موجزاً لمعالم هذه الحصيفة وجدنا : —

أولاً : مبادئ عامة مثل تجنب كل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظ به ، وأن اللسان العربي منزّه عن كل نقبصة ، مهذب بما يهجن أو يستشنع ، وأن العرب يميلون عما يلزم كلامهم الجفاء إلى ما يلين حواشيه ويرققها أى أنهم يتصرفون في ما قد يقع في كلامهم مما يثقل أو يستشنع بحيث يعود خفيفاً رقيقاً .

وثانياً : معالم محددة تثبت تحقق هذه الحصيفة نصنفها في ما يلي :

( أ ) منع تركيب الكلم العربية من حروف لاتألف ، لتقاربها أو تضاد صفاتها ، والتصرف في ما قد يقع من نحو ذلك — في الأصل أو بسبب تصرف الكلم في الصيغ المختلفة — بالإبدال كإبدال حروف العلة (مبعاد) ، وإبدال تاء افعل ، أو إدغام ما يتماثل أو يتقارب .

( ب ) منع تركيب الكلم العربية من أربعة حروف (٢) فما فوق خالية من

(١) نفسه ٨٧ - ٨٨. وقوله الإطباق غير دقيق . فالذى ذكره الخليل في هذه المسألة هو حروف اللدالة ، وذكر حسن العين والقاف والسين والذال والهاء . كما أنه نجم الرباعي إلى الخامس في ضرورة وجود حروف اللدالة فيه ، وذكر أن المستثنى من ذلك نحو عشر كلمات (انظر العين (درويش) ٨/١ - ٦٢) . ثم إن حروف الإطباق على حسب الاصطلاح المعروف (صراط) ثقيلة لا يؤتى بها للتخفيف ، إلا إذا كان ابن فارس يقصد اصطلاح الخليل بتسمية الميم مطبقة (العين ١/٦٥) لكنها حرف واحد وليست حروفاً كما ترى .

(٢) انظر التعليق السابق على كلام ابن فارس حيث نبهنا إلى أن الخليل ذكر أن حروف اللدالة تشترط في الأبنية الرباعية أيضاً .



حروف الدلالة ، وهذا يعنى أن الأبنية الثلاثية هي أعدل الأبنية ، ويدخل في إطار هذا النوع والذي قبله تخفيف بعض الأبنية بحذف بعض الحروف والترخيم وما إلى ذلك .

( ج ) حسن تأليف الحركات بالمراوحة بين الحركات والسكنات ممثلة في منع التقاء الساكنين ، ومنع توالى أربع حركات ، ومنع توالى الحركات المتضادة . ويتضمن هذا التخلص مما قد يكون قد وقع بالإسكان واختلاس الحركات .



ونظراً إلى أن المبادئ العامة التي أسلفناها أخذاً من كلامهم ، والتي تعنى تجنب العرب لكل صور الثقل في أداء الألفاظ — مذكر منها هنا بعينه وما لم يذكر ، ولترتيب العرض والمعالجة وتيسيرهما ، فإننا سنتناول — لتفصيل هذه الحصيصة وتحقيقها — صور حسن التأليف بالتفصيل والترتيب الآتين :

الصورة الأولى : قلة عدد الجروف التي تبنى منها الكلمة العربية — وذلك في الجمهور الأعظم من ثروة المفردات العربية ،  
الصورة الثانية : تخفيف الأبنية الكثيرة الحروف باسقاط حروف الدلالة في أصولها .

الصورة الثالثة : ما يلتزم في مكونات الكلمة العربية من الاتساق ( عدم التنافر ) .

الصورة الرابعة : ما يجرونه في مكونات ألفاظهم التي يستشعرون ثقلها ليخففوها ( كالإبدال والتقريب بصوره والحذف والزيادة ) .

الصورة الخامسة : حسن تأليف الحركات .



## الصورة الأولى

### لمحسن تاليف ميانى الكالم العربية قله عدد الحروف في الجذور العربية

— من المقررات المعروفة في اللغة العربية أن غالب ألفاظ هذه اللغة بنيت على ثلاثة أصول ، وقليل منها بنى على أربعة أصول ، أما ما بنى على خمسة أصول فلا يخرج عن دائرة النادر . وهذا الإحصاء يوضح ذلك (١) .

الجنود		الصباح		لسان العرب		تاج العروس	
عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة
إلى مجموعها	إلى	إلى	إلى	إلى	إلى	إلى	إلى
٤٨١٤	%٨٥,٦٩	٦٥٣٨	%٧٠,٥١	٧٥٩٧	%٦٣,٥	١١٩٧٨	%٦٣,٥
٧٦٦	%١٣,٦٣	٢٥٤٨	%٢٧,٤٧	٤٠٨١	%٣٤		
٣٨	%٠,٦٨	١٨٧	%٢,٠٢	٣٠٠	%٢,٥		
٥٦١٨		٩٢٧٣					

— يلحظ أن التراكيب الثلاثية تمثل في معجم الصباح — وهو يضم أجري التراكيب أى أخفها ، وأوثقها ثبوتاً عنده — أكثر من ٨٥% من تراكيب اللغة ، وأنها لم تنخفض في أوسع المعاجم — وهى تضم النادر والثقيل —

(١) هذا الإحصاء من الجدول رقم ٣٠ من إحصائيات جنود معجم لسان العرب ص ٩٢ ، مع الجدول الإحصائي في ص ٩ من دراسة إحصائية لجنود معجم تاج العروس . وقد صرفنا النظر عن الأحادي والثنائي كواو العطف ومن الجارة ، لأنه من القلة بحيث لا يشكل نسبة تذكر أو تؤثر .



عن ٦٣,٥٪ وهي نسبة الكثرة . بل يلحظ أن الرباعي - وهو الذي يلي الثلاثي في الخفة - هو الذي صار ذا نسبة معتبرة ٢٧,٥٪ في اللسان و ٣٤٪ في التاج ، بينما لم تزد أعلى نسبة للخماسي - الذي هو أثقل التراكيب - عن ٢,٥٪ وهي نسبة تمثل الندرة تمثيلاً صادقاً . . . . .

أما الحكم بالغالبية والقلّة والندرة فقد أخذناه من قول ابن هشام : « المطرد لا يتخلف ، والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف ، والكثير دونه ، والقليل دون الكثير ، والنادر أقل من القليل . فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالباً ، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب ، والثلاثة قليل ، والواحد نادر . » (١) وترجمة هذا بالنسبة المئوية :

أن الغالب	٢٠	:	٢٣	=	نحو ٨٧ ٪
والكثير	١٥	:	٢٣	=	نحو ٦٥ ٪
والقليل	٣	:	٢٣	=	نحو ١٣ ٪
والنادر	١	:	٢٣	=	نحو ٤ ٪

ويستخلص من هذا - على ما أسلفنا - أن نسبة التراكيب الثلاثية بين تراكيب اللغة في أوسع معاجمها تتراوح بين الكثير والغالب . وهكذا يصدق ما قلناه من أن هذه اللغة العربية روعيت فيها الخفة من حيث قلة عدد الحروف في جمهور أبنيتها الأصلية .

أما وجه الخفة في التراكيب الثلاثية فيبدو في عبارة التحليل ، إذ بين الحكمة في كون الاسم لا يقل عن ثلاثة أحرف : « والاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف : بحرف يبدأ به ، وحرف يحشى به الكلمة ، وحرف يوقف عليه » (٢) أي أن الثلاثي جاء على أقل ما يمكن أن تكون عليه الكلمة ، مع

(١) انظر المزهري ٢٣٤/١ - وهذا التحديد يقبل النظر من حيث اعتداد ٢٥ من ٢٣ « كثيراً » فنسب ، ومن حيث الحكم على النسب بين ٢٥ و ٢٣ بحكم واحد مع تفاوتها بين ما هو أكثر من النصف وما هو أقل من الربع .

(٢) انظر العين (درويش) ٥٥/١ .

قوة الكلمة (١) وتيسر نطقها . قال ابن جني في تعليقه لكثرة الأبنية الثلاثية  
بحقها : « وذلك أن الأصول ثلاثة : ثلاثي ، ورباعي ، وخماسي . فأكثرها  
استعمالاً ، وأصلها تركيباً ، الثلاثي . وذلك لأنه حرف يبدأ به ، وحرف  
يخشي به ، وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب ،  
لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه ، لأنه أقل حروفاً . وليس الأمر كذلك .  
ألا ترى أن جميع ما جاء من ذوات الحرفين جزء لا قدر له فيما جاء من  
ذوات الثلاثة ، نحو من ، وفى ، وعن ، وهل ، وقد ، ويل ، وكم ،  
ومن ، وإذ ، وصه ، ومه . ولو شئت لأثبت جميع ذلك في هذه الورقة .  
وأقل منه ما جاء على حرف واحد ، كحرف العطف ، وقائه ، وهمة  
الاستفهام ، ولام الابتداء والجر والأمر ، وكاف رأيتك ، ونهاء رأيتك .  
وجميع ذلك دون باب كم ، وعن ، وصه . والثلاثي — عارياً من الزيادة ،  
وملتبساً بها — ما يبعد تداركه ، وتتعب الإحاطة به ( يعنى لكثرتة ) . فتمكن  
الثلاثي إنما هو لقلة حروفه لعمرى ، ولشيء آخر ، وهو حجز الحشو الذى  
هو غينه بين فائه ، ولامه . وذلك لتباينهما ، ولتعاذى خالهما : ألا ترى  
أن المبتدأ ( يعنى الحرف الأول الذى تبدأ به الكلمة ) لا يكون إلا متحركاً ،  
وأن الموقوف عليه ( يعنى الحرف الأخير إذا وقف عليه ) لا يكون إلا ساكناً ،  
فلما تناقرت حالاهما ، وسبطا العين حاجزاً بينهما ، لثلاثي فحشوا الحس  
بضد ما كان آخذاً فيه ، ومنصباً إليه (٢) . المراد هنا ، ثم قال : « فقد  
وضح إذا — بما أوردناه — وجه خفة الثلاثي من الكلام . وإذا كان كذلك  
فبذوات الأربعة مستثقلة غير متمكنة يمكن الثلاثي ، لأنه إذا كان الثلاثي  
أخف وأمكن من الثنائي — على قلة حروفه ، فلا محالة أنه أخف وأمكن  
من الرباعي لكثرة حروفه . ثم لا شك فيما بعد ، في ثقل الخماسي ، وقوة  
الكلفة به (٣) . » ثم ذكر قلة ما يستعمل من تقاليب الرباعي والخماسي

(١) قوتها تتمثل في أن لها وسطاً مكتوناً من جانبيه محصناً — بصورة عامة — من التغيرات  
التي قد تجرى الحرف الأول والأخير .

(٢) الخصائص ١/ ٥٦ — ٥٦ يتصرف بسير . إذ آخرنا عبارة « والثلاثي . . . الإحاطة  
به عن موضوعها ، براستينينا عن عبارة جامت أيضاً في موضع آخر . . .

(٣) الخصائص ١/ ٦١ .



برهاناً على ذلك الثقل ، ثم قال : « فدل ذلك على استكزاهم ذوات الخمسة ، لإفراط طولها ، فأوجبت الحال الإقلال منها ، وقبض اللسان عنها إلا فيما قل ونزُر . ولما كانت ذوات الأربعة ثلها ، وتتجاوز أعدل الأصول — وهو الثلاثي — إليها ، مسها بقربها منها قلة التصرف فيها ، غير أنها في ذلك أحسن حالا من ذوات الخمسة ، لأنها أدنى إلى الثلاثة منها ، فكان التصرف فيها دون تصرف الثلاثي ، وفوق تصرف الخماسي » (١) ٥١ .

— وما فصله ابن جني أجمله بهاء الدين في قوله : « الثلاثي أحسن من الثاني والأحادي ، ومن الرباعي والخماسي » واستظهر لذلك بما اشترطه حازم القرطاجني وغيره لقصاحة الكلمة من كون جروفها متوسطة العدد (٢) .

— وهكذا وضع هذا الجانب الأول أو الصورة الأولى من صور نحس تأليف الكلمات في العربية — وهي الصورة الخاصة بقلة عدد الحروف التي تبنى منها غالبية ألفاظ اللغة العربية ، ووضح أن هذه القلة محكمة معتدلة لم تنزل إلى الحرف أو الحرفين (٣) ، ولم تسمح ببلوغ الأربعة والخمسة إلا على مستوى القلة والندرة .

— كما وضع أن وراءها حكمة هي تخفيف كلمات اللغة بحيث لا يمثل أداؤها جهداً مجاوزاً للحد المقبول . وإذا كانت هذه الخفة متحققة في الثلاثي ، ونسبته من ألفاظ اللغة بين ٦٣,٥ و ٨٥,٧ في المئة منها فهذا يعني تحقق الخفة — في هذه الصورة — لأغلب ألفاظ اللغة .

— أما الرباعي والخماسي — وقد ذكر أنهما ثقيلان بالنسبة للثلاثي ، فإن للعرب أسلوبهم في تخفيفهما ، وميأتى ذلك .

(١) الخصائص ١/٦٢ ، ويقصد بالتصرف استيفاء الصور المستعملة من تقاليب المادة . واستعمال هذه الصور من أهم روافد كثرة الثلاثي . وإجمال أكثر تقاليب المواد الرباعية والخماسية قلل عدد النوعين . (٢) انظر المزهري ١/١٩٩ — ٢٠٠ .

(٣) أسلفنا أننا صرفنا النظر عن الحروف الأحادية والثنائية كواو العطف ومن الجازمة لقلة عددها ، ووضح أن الأسماء الأحادية والثنائية كالكثير من الضمائر والموصولات والإشارات وأسماء الأفعال وأسماء الاستفهام والشرط : كل ذلك لا يشكل مجموعة نسبة مؤثرة . ولا تدخل هنا الأفعال التي وصلت بالإعلال إلى حرف أو حرفين . وإنما تحسب مع أصلها .

## الصورة الثانية لحسن التأليف تخفيف التركيب الرباعية والخماسية بحروف الذلاقة

أسلفنا ما قرروه من اعتدال الجذور الثلاثية وخفتها ، واستثقال الجذور الرباعية والخماسية . ولكن العرب لم يسيغوا التكوينات الرباعية والخماسية على أى حال كانت ، ليعانوا ثقلها بعد ، وإنما التزموا فيها ألا تخلو من واحد أو أكثر من حروف الذلاقة ( ر ن م ل ب ف ) التى هى بأخف الحروف (١) ، فتخفف تلك الجذور الرباعية والخماسية باشتراك هذه الحروف الخفيفة فى تكوينها . قال الخليل : « ولما ذلقت الحروف الستة ومعدل بين اللسان ، وسهلت فى المنطق كثرت فى أبنية الكلام . فليس شئ من بناء الخماسى التام يعرى منها أو من بعضها . فإن ورد عليك خماسى معرى من الحروف الذلقة والشفوية (٢) فاعلم أنه مولد وليس من صحيح كلام العرب ، نحو الخضعنج والكثعصج وأشباه ذلك ، وإن أشبه لفظهم وتأليفهم فلا تقبلن منه شيئاً ، فإن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب لإرادة التلبيس والتعجيب » .

« وأما بناء الرباعى المنبسط ( يقصد الذى ليس مضاعفاً ) فإن الجمهور الأكثر منه لا يعرى من بعض الحروف الذلقة إلا كلمات . نجواً من عشر جثن شواذ ، فسرناهن فى أمكنتها ، وهى العسجد ، والعسَطوس ، والقداحس ، والدعشوقة ، والدعندعة ، والدعندقة ، والزهرقة . . . ولولا ما لزمهن من العين والقاف ما حسن على سحال ، ولكن العين والقاف لا تدخلان

---

(١) سبب خفتها خروجها من ذلق اللسان أو من الشفتين مع خروج النفس من الأنف فى النون والميم وحركة ذلق اللسان والشفتين أخف الحركات على الناطق . لذا كانت أكثر الحروف تردداً فى الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية على السواء .  
(٢) الحروف الذلقة هى ( ر ل ن ) والحروف الشفوية هى ( ف ب م ) وتطلق صفة الذلاقة عليهن جميعاً للخفة .



على بناء إلا حسنتاه ، لأنهما أطلق الحروف . أما العين فأنصبغ الحروف جرسا  
والذها سماعاً ، وأما القاف فأصحبها جرسا ، فإذا كانتا أو إحداهما في بناء  
حسن لنصاعتهما . فإن كان البناء اسماً لزمته السين أو الدال مع لزوم العين  
أو القاف ، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكرازتها ، وارتفعت عن  
خفوت التاء فحسنت ، وصارت حال السين بين مخرجي الصاد والزاي  
كذلك . فهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرى من الحروف الدلق  
والشفوية ، فإنه لا يعرى من أحد حرفي الطلاقة أو كليهما ، ومن السين  
والدال أو إحداهما ، ولا يضره ماخالطه من سائر الحروف البعثم . . .

« وأما ما كان من بناء هذا الرباعي المنبسط من المعرى من الحروف  
الدلق محاكاة مؤلفة نحو دهداق وزهراق وأشباه ذلك ، فإن الهاء لازمة له ،  
فصلا بين حرفيه المتشابهين - مع لزوم العين والقاف أو إحداهما ، وإنما  
استحسنوا الهاء في هذا الضرب من المحكاة لينها وهشاشتها ، إنما هي نفس  
لا اعتياص فيها » (١) .

وقال مرة أخرى عن الحروف المدلقة أيضاً : « وحروفهما (يعني المخرجين :  
الشفيتين وطرف اللسان) أخف الحروف في المنطق ، وأكثرها في الكلام ،  
وأحسنها في البناء . ولا يحسن بناء الرباعي المنبسط ، والخامس التام إلا بمخالطة  
بعضها نحو : جعفر ، ودرديق ، ومفرجل ، ودرديس . وقد جاءت  
كلمات مسيئة شواذ نحو عسجد وعسطنوس » (٢) .

وهكذا بسط التحليل في أثر حروف الدلاقة ولزومها في الأبنية الرباعية  
والخامسية لتخفيفها . وقد استخرجت من إحصائيات لسان العرب أكبر  
الحروف نسبة في بناء الجنور الثلاثية والرباعية والخامسية . وهي تصدق  
كلام التحليل بصورة عظيمة . من حيث خفة هذه الحروف ، وكثرتها أي  
كثرة دوراتها في أبنية الكلم لذلك ، ومن حيث زيادة نسبة مشاركتها في أبنية

(١) هذا النص من تهذيب اللغة ٤٤/١ - ٤٥ . وهو في العين (دويش) ٥٨/١ - ٦١ .  
باختلاف طفيف يمثل في تلخيص بعض العبارات أو الاستثناء عنها . ولعل هذا تصرف من  
الأزهري أو كانت نسخته من العين هكذا .

(٢) تهذيب اللغة ٥٠/١ وانظر العين (دويش) ٥٨/١ .

الكلمات الرباعية والخمسية دليلاً على اشتراكها في كل منها على ما قال الخليل ، ثم من حيث مشاركة العين والقاف لهذه الحروف في كثرة دورانيهما في الأبنية ، وذلك لما تميزتا به من نصوص وظلافة أكسبتهما للذادة مستمع تضارع خفة النطق ، وأخيراً من حيث حسن السين والذال الذي يضارع الخفة كذلك .

### أكثر الحروف دوراناً في تراكيب اللغة ونسبة دورانيها في كل من أنواع الجنوز

الجنوز الثلاثية		الجنوز الرباعية		الجنوز الخماسية	
الحرف	نسبة دورانه	الحرف	نسبة دورانه	الحرف	نسبة دورانه
مثوياً	مثوياً	مثوياً	مثوياً	مثوياً	مثوياً
ر	٦,١ %	ر	١٠,٨	ن	١١
ن	٥,٨	ل	٧,٨	ر	١٠,٨
م	٥,٥	ب	٧,٤	ل	٩
ل	٥,٣	ع	٦,٥	ق	٧,٤
ب	٥,١	م	٦,٤	ب	٧,١
ع	٤,٤	ن	٦,٤	س	٥,٩
ف	٤,٣	ق	٥,٧	د	٥,٣
و	٤,٢	د	٥,١	ع	٥,٢
ذ	٤,٢	س	٤,٦	م	٤,٢
ق	٤	ج	٤,٢	ظ	٣,٧
س	٣,٧	ف	٤,١	ج	٣,٧
				ف	٣,٤

هذه هي الحروف ذات أعلى النسب وزوداً في أنواع الجنوز الثلاثة استخرجت من الجداول رقم ١ ، ٧ ، ١٥ في إحصائيات جنوز معجم لبنان العرب ، وزيت تنازلياً حسب ماورد في تلك الجداول تماماً . ويلاحظ :  
( ١ ) أن هذه الحروف الأعلى نسبة ورود في جنوز اللغة هي شحوف



الدلاقة أساساً ، وأن الذى اشترك مع حروف الدلاقة فى علو نسبة الورود هى الحروف التى نبه الخليل على أن لها حسناً وتقبلاً وقلنا إن هذا الحسن يضارع خفة حروف الدلاقة . وهذه الحروف هى العين والقاف والسين والذال ، ولم يدخل بين هذه الحروف الأعلى نسبة دوران من غير المجموعتين إلا الواو فى الجنور الثلاثية ، والجيم فى الجنور الرباعية ، والجيم والطاء فى الجنور الخماسية . وهذا يصدق — بصورة عامة — كلام الخليل بشأن خفة حروف الدلاقة ، وكثرة دورانها فى الأبنية ، وبشأن مقاله عن العين والقاف والسين والذال .

(ب) كما يلحظ أن نسبة دوران حروف الدلاقة ارتفعت بصورة عامة — فى الجنور الرباعية والخماسية عما كانت عليه فى الجنور الثلاثية (الراء من ٦,١ فى الثلاثى إلى ١٠,٨ فى الرباعى والخماسى ، والنون من ٥,٨ فى الثلاثى إلى ٦,٤ فى الرباعى وإلى ١١ فى الخماسى والميم من ٥,٥ إلى ٦,٤ فى الرباعى لكنها انخفضت فى الخماسى إلى ٤,٢ واللام من ٥,٣ إلى ٧,٨ وإلى ٩ ، والباء من ٥,١ إلى ٧,٤ وإلى ٧,١ ، والقاف انخفضت قليلاً . بل إن العين أيضاً ارتفعت من ٤,٤ إلى ٦,٥ وإلى ٥,٢ ، والقاف من ٤ إلى ٥,٧ وإلى ٧,٤ والذال من ٤,٢ إلى ٥,١ وإلى ٥,٣ ، والسين من ٣,٧ إلى ٤,٦ وإلى ٥,٩) . وكل هذا يصدق كلام الخليل بالنسبة لاشتراك حروف الدلاقة فى الأبنية الرباعية والخماسية ضرورة ، وبذلك ارتفعت نسبة وجودها فيها عن نسبة وجودها فى الجنور الثلاثية . بل إن كلام الخليل عن حسن العين والقاف والسين والذال ، وجد تصديقاً عظيماً فى هذا الجدول ، إذ تبين أن حسن هذه الحروف خففها وجعلهم يشركونها فى تكوين الرباعى والخماسى بنسبة أكبر من إشراكهم إياها فى الثلاثى كما أوضحناه ، أى أنها جرت مجرى حروف الدلاقة فى هذا أيضاً . وبذلك كله صدق مقاله الخليل من أنهم يحسنون الأبنية الرباعية والخماسية بحروف الدلاقة . والتحسين تحقيق وزيادة .

## الصورة الثالثة      لحسن التأليف

### وهي ما التزم في مكونات الألفاظ العربية من الاتساق

— وقد أسلفنا أن ابن سنان مثل لما اختصت به العربية من تجنب كل ما يثقل على الناطق التلفظ به في الأكثر — مثل لهذا الذي تجنبته بالجمع في بناء الكلمة بين الحروف المتقاربة في المخارج (١) ، وتناولت أمثلة الفارابي وابن فارس هذا النوع الذي يتجنب أيضاً (٢) . وسر هذا — بصورة عامة — أن الأشياء التي من نوع واحد إذا اختلفت جزئياً بحيث يوجد في هذا ما يفقد في ذاك فلأنها قد تأتلف وتنسق تداخلاً وتكاملاً ؛ ولكنها إذا تماثلت فإنها تتناظر وتتناد وقد لا تتداخل . وفي الحروف المتقاربة المخارج — إذا تجاوزت — شيء كهذا ، فإن الالتزام بنطق كل منها من مخرجه يشبه حينئذ مشي المقيد ؛ إذ ما يكاد اللسان (مثلاً) يفارق موضعه في نطق الحرف حتى يعود إلى الموضع نفسه تقريباً لينطق الحرف التالي من نفس المخرج أو من قريب منه . بينما التأليف من حروف متباعدة المخارج فيه تنوع قد يضاف إليه اختلاف الصفات ، فيحدث الائتلاف ويخف النطق بسبب ذلك التنوع ، كما أن هذا الاختلاف يبرز ملامح الكلمة ويوضح صورتها (٣) .

— وتباعد المخارج في تأليف الألفاظ الغريبة أمر متعارف متعالم ، فقد أنكر الخليل كلمة « المصمخ » واستشنع تأليفها (٤) ؛ كما قال إن العين والحاء لا تأتلفان في كلمة واحدة أصلية لقرب مخرجيهما ؛ قال الأزهري

(١) انظر سر الفصاحة ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٧ .

(٢) انظر ديوان الأدب ٧٢/١ والصاحبي ٨٧ .

(٣) انظر الحصائص ٢٢٧/٢ .

(٤) انظر العين ٢٧٤/٢ ، وسر الفصاحة ٥٧ — ٥٨ .

وهو كما قاله الخليل (١) . وقد قرر هذه المقولة ( أن تأليف الكلمة من حروف متقاربة المخارج بثقلها ويؤدي إلى إهمالها ، وتأليفها من حروف متباعدة يجعلها خفيفة مستحسنة ) أيضاً ابن دريد (٢) ، وابن جني (٣) ، وهما الدين (٤) . هذا بالإضافة إلى ما أسلفناه للفارابي وابن سنان ، وقد نهوا على بعض ما أهمل من التراكيب لثقله في مواضع منتشرة في المعاجم وغيرها (٥) .

ولكن الدراسات الحديثة وضعت بين أيدينا إحصائيات دقيقة مأخوذة من واقع اللغة العربية في المعاجم . وهي إحصائيات تكشف عن تحقق الاتساق في بناء الكلمات العربية . ذلك الاتساق المتمثل في تكونها من حروف متباعدة المخارج ، بحيث لا يتتابع (= لا يتجاور) في بناء أي من الكلمات العربية حرفان متقاربان المخرج ، إلا في نطاق النادر الذي لا يؤثر في الصورة العامة .

— وقد استخلصنا من إحصائيات التتابع العامة لمعجم لسان العرب سبع إحصائيات جزئية (٦) ، كل إحصائية منها خاصة بمجموعة حروف مشتركة في المخرج العام أو متقاربة في المخارج المتجاورة .

١- والجداول رقم (١) للحروف الحلقية . ونحن نعلم أن الحلق يخرج مستطيلاً يمتد من فتحة الزمار بين الغشائين الصوتيين إلى أعلى الحلق حيث يلتقي

- 
- (١) انظر العين (درويش) ٦٨/١ وتهذيب اللغة ٥٥/١ .  
 (٢) انظر المزمهر ١٩١/١ ، ١٩٥ .  
 (٣) انظر الخصائص ٥٤/١ ، ٦٣ . ومن صناعة الإعراب (تحقيق للسقا ومن معه) ٧٥/١ .  
 (٤) انظر المزمهر ١٩٣/١ - ١٩٤ .  
 (٥) انظر مثلاً العين ٦٨/١ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ٢١٥/٢ الخ ، والبيان والتبيين (هارون) ٦٩/١ ، والخصائص ٥٤/١ ، والصاحي ٨٧ ، ثم مقدمة القاموس للشيخ نصر الطوري .  
 (٦) هذه الإحصائيات والجداول كلها مستخرجة من الجداول ٩ ، ١٤ ، ٢٢ ( يتناولها قسم الحروف في الجداول الثلاثية والرابعة والخامسة ) في كتاب إحصائيات الجداول لمعجم لسان العرب . د. علي حلمي موسى .



منطقة أقصى اللسان ، ونعلم أن ترتيب مخارج حروف الحلق فيه من أعجمية إلى أعلاه هو الهمزة فالهاء ثم العين فالحاء (على الراجع في هذا الترتيب) ثم الغين فالحاء .

- وتلاحظ في ذلك الجدول أن البيوت (= الخانات) المعبرة عن عدد مرات تتابع الحرفين في كلمات اللغة - مع تقدم الحرف الذي في الضلع الأيمن (الرأسي) معظمها (٢٤ من ٣٦) عدد مرات التتابع فيه إما صفر (أى لم يتجاوزا على هذه الصورة في أى من كلمات اللغة على الإطلاق) وإما عدد ضئيل (١ ، ٢ ، ٣) وهناك ستة بيوت (أ + هـ ، ح ، خ / هـ + ع ، خ / ع + ح + ع / أ) التتابعات فيها بين ٥ ، ٨ وهذا كله لا يخرج عن نطاق النادر - إذا نسبناه إلى أكبر عدد للتتابع ، وهو تبع الراء للباء - ويبلغ ١٢٧ مرة (١) ، بالإضافة إلى أن مخرجى الحرفين في أكثره (أعني ما عدا الهمزة والهاء) تفصل بينهما مخارج أخرى ، أو متباعداً نسبياً .

- ٦ -

- ٢ -

ج	ك	ق	خ	غ	
٢	-	٣	-	١٠	غ
١٢	-	٦	٢١	-	خ
-	-	٢٩	٥	٢	ق
١	١٩	-	٤	٢	ك
٢٣	١	١	٩	١	ج

خ	غ	ح	ع	هـ	ا	
٦	١	٦	-	٨	-	٢
١	٢	-	٧	٧	٥	هـ
-	-	-	٢٢	١٣	-	ع
-	-	١٩	١	١	١	ح
-	١٠	-	-	٣	-	غ
٢١	-	-	٨	-	-	خ

(١) انظر الجدول رقم ١٤ (ص ٦٢) في إحصائيات جود معجم لسان العرب .  
(م ٥ - خصائص اللغة)

-۲-

ش	س	ز	ص	ض	
ش	۱۸	۷	۷	۷	-
س	-	۲۰	-	-	-
ز	-	-	۱۹	-	-
ص	-	-	-	۱۹	-
ض	-	-	۴	-	۱۵

-۴-

د	ت	ط	ث	ض	ذ	
د	۲۵	۱	۲	۱۰	-	۱
ت	۷	۲۳	۲	۴	۱	۱
ط	۴	۱	۱۹	۶	-	-
ث	۱۱	۶	۱۲	۱۹	-	-
ض	۹	۱	۴	۱	۱۵	-
ذ	۲	-	۱	-	-	۱۶

-۵-

ر	ل	ن	
ر	۲۶	۷	۳۲
ل	۴	۲۵	۱۵
ن	۱۷	۴	۲۷

-۶-

ث	ذ	ظ	ز	ض	
ث	۱۹	-	-	-	-
ذ	-	۱۶	-	-	-
ظ	-	-	۱۲	-	۱
ز	-	-	-	۱۹	-
ض	۱	-	۱	۴	۱۵

-۷-

ب	ف	هـ	
ب	۳۲	-	۶
ف	-	۲۲	۴
هـ	۱	۱	۲۶

١- أما تتجاوز المثلين — وهو الذى تقع بيوتته في خط الوتر في الجدول —  
أعنى تتابع همزتين ، أو هاءين ، أو عينين ، أو حاءين ، أو غينين ، أو خاءين —  
فإنه يقع بنسبة قليلة ، ولكنه ممتنع في الهمزتين وحدهما ، وسرى في  
الجدول الأخرى أنه يقع فيها بنسبة قليلة أيضاً . وسر سماحهم بوقوعه  
أنهم يتخلصون من ثقله عادة بالإدغام .

٢- ولم يبد شاذاً عما سبق إلا تبع الهاء للعين ، حيث وقع ثلاث عشرة مرة ،  
ومع أنها تدخل في نطاق القليل إلا أن ما نبوغها هو الاختلاف الواضح  
بين هيتى خروج الحرفين ، فالهاء تخرج بانفتاح الوترين وينفسح الحلق  
لنفسها دون أية عوائق ، ولذا قيل عنها إنها تنفس لا اعتياص فيها ، والعين  
ينقلد زميرها من بين ما يشبه السد الزخرفى الحلق ، وبدأ كانت أنصع  
الحروف جرساً بينها الهاء أخفها جرساً فسأغ تتابعهما بتلك الصورة  
لذلك .

٣- أما في سائر الجداول فيلاحظ أولاً : أننا أضفنا إلى كل منها — ما غداً  
جدول ٥ ، ٧ — حروفاً تقارب حروفه في المخرج أو تشابهها في جرس  
الصوت مع ذلك ( فأضفنا إلى جدول ٧ حرفي الغين والحاء ثم الجيم ،  
وإلى جدول ٣ حرف الشين ثم الضاد ، وإلى جدول ٤ حرفي الثاء والضاد ،  
وإلى جدول ٦ حرفي الزاي والضاد ) ، وإبتأملها نجد أنها جميعاً ينطبق  
عليها كل ما قلناه عن الجدول رقم ١ من حيث : —

( ١ ) إن تتابع الحرفين المتجانسين ( = اللذين مخرجهما العام واحد ) في  
الكلمة الواحدة غالباً ما لا يقع أبداً ، وإن وقع فإنه لا يتجاوز  
في عدد مرات وقوعه نطاق النادر ( من ١ إلى ٧ ) وإن الحالات  
التي يبدو أنها تتجاوز ذلك النطاق سوغها تباعد بين المخرجين حقيقى  
كما بين ج خ ، خ ج ، خ ج ، وكما بين د ث ، ث ط ،  
ض د في جدول ٤ ، بل إن ما وقع في نطاق النادر بعضه يسوغه  
اختلاف قوى في طبيعة الحرفين أو صفاتهما مثل خ ق ، ك خ



في جدول رقم ٢. لأن الحاء رخوة مهموسة والقاف شديدة مجهورة ،  
والكاف شديدة . وكذلك الأمر بين الشين وحروف س ، ز ،  
ص في جدول رقم ٣ حيث الشين متفشية الصوت ومن صافرات ،  
وبين التاء والذال حيث التاء مهموسة وهي متقدمة على الدال  
المجهورة — على الترتيب الطبيعي — بينما لا يلتقيان بتقديم الدال إلا مرة  
واحدة . ونحو ذلك يقال في الراء مع اللام في جدول رقم ٥ ، وفي  
الباء مع الميم في جدول رقم ٧ . وأما تجاوز نطاق الندرة في الجدول  
رقم ٥ ( ر ن ٣٢ مرة ، ل ن ١٥ مرة ، ن ر ١٧ مرة ) فسيبه  
أن النون لا تشترك مع اللام والراء في المخرج إلا بقدر ضئيل هو  
ارتفاع طرف اللسان إلى سقف الحنك ، أما هواؤها وصوتها  
فيخرجان من الأنف . فهناك تباعد جزئي ولكنه جوهري بين  
مخرج النون ومخرج اللام والراء ، وذلك بالإضافة إلى تميز جرس  
الصوت ، وذلاقة هذه الحروف التي تخفها وتيسر التقاءها .

( ب ) وإن تتابع المثليين يقع بنسبة قليلة ، ومسوغه إمكان التخلص من  
ثقله بالإدغام عادة .



وهناك صورة أخرى لكل ما قلت فيه التتابعات من الثلاثي استخلصناها  
من جدول تنابعات الثلاثي في لسان العرب (١) — وبأملها يتبين أن ما عدم  
التتابع بينه من الحروف — أو قل جداً — نوعان :  
أولاً : الحروف المتقاربة الخارج — وهذه قد بيناها تفصيلاً في مجموعة  
الجدول السابقة .

ثانياً : الحروف الغليظة ويتمثل غلظها في ملأها الفم في نطقها كحروف  
الإطباق ، أو الكلفة في إخراجها كالتاء والذال والطاء ، وقد يقل التتابع

(١) انظر الجدول رقم ٦ من ٤٥ في إحصائيات جذور معجم لسان العرب .

بسبب تفاوت الحرفين تفاوتاً كبيراً في الغلظ والرقّة ، أو بسبب قوة التشابه بين جرمي الحرفين . . .

بيان بما امتنع تنابعه من الحروف أو قل - في الجدور الثلاثية في لسان

العرب (١) .

أ + أ - ( أى أن التتابع بين همزتين أصليتين في كلمة ثلاثية لم يقع أبداً -

الشرطة - تعني أن عدد مرات التتابع صفر ) / ظ ٣ ( أى وقع

التتابع بين الهمزة فالظاء في كلمة ثلاث مرات ) / ع - ( التتابع

بين الهمزة والعين صفر ) / غ ١ ( التتابع وقع مرة واحدة ) /

ب + ف - ( التتابع صفر ) /

ت + ث ٤ / ذ ١ / ص ١ - / ض ١ / ط ٢ / ظ - /

ث + ح ٢ / ذ - / ز - / ص - / ش - / ض - / ظ - /

ج + ت ١ / ص ٢ / ض ٢ / ط ١ / ظ ٢ / غ ١ / ق ١ / ك ١ /

ح + أ ١ / غ - / ع ١ / غ - / ه ١ /

خ + أ - / ح - / ظ ٢ / غ - / ك - / ه - /

ه + ت ١ / ذ ١ / ز ٣ / ص ٣ / ض - / ط ٢ / ظ ١ /

ذ + ت - / ث - / د ٢ / ز - / ص - / ش - / ض - / ط ١ /

ظ - / غ - /

ر + ظ ١ /

ز + ت ٢ / ث - / ذ - / ص - / ش - / ض - / ط ٢ /

ظ - /

س + ث + - / ز - / ش - / ص - / ض - / ظ - /

(١) هذا البيان مستخرج من الجدول رقم ٦ ص ٤٥ في إحصائيات الجدور الخمسة لسان

العرب. ولم نأت فيه بما زاد عدد التتابعات عنه من ٤ . . .

ش + ث ه / ض - /

ص + ث - / ج ٢ / ذ ١ / ز - / ص - / ش - / ض - / ظ - /  
ض + ث ٢ / ث ١ / ذ - / ز ٤ / ص - / ش - / ض - / ط ٤ / ظ ١ /  
ق ١ /

ط + ث - / ج ٢ / د ٤ / ذ - / ص - / ض - / ظ - / غ ٤ / ق ٤ /  
ك ١ /

ظ + ث - / ث - / ج ١ / ح ١ / خ - / د - / ذ - / ز - / آ - /  
ش - / ص - / ض - / ط ١ / ع ٣ / غ - / ق - / ك ١ /  
ه / ي ٢ /

ع + أ - / ح - / خ - / غ - /

غ + أ - / ج ٢ / ح - / خ - / ظ ١ / ع - / ق ٣ / ك - /

ف + ب - /

ق + ج - / ك - /

ك + ج ١ / ض ٢ / ط - / غ ٢ / ق - /

ل + ر ٤ /

م + ب ١ / ف ١ /

ن + ل ٤ /

ه + ح - / خ ١ / ظ ١ / غ ٢ /

و + و ١ /

ي + ي ١ /

ويمكن تحديد تنابعات هذا النوع الأخير - أخذاً من الجدول في ما يلي :

ثض ، ثص ، جض ، جط ، بظ ، بظ ، خض ، دص ، ذر ،

فص ، فث ، ذص ، ذض ، ذط ، ذظ ، جص ، جض ، شث ، شض ،

صث ، صج ، صذ ، صض ، صظ ، صث ، صث ، صث ، صث ، صث ، صث ،



ضبط ، ضيق ، طج ، طذ ، طغ ، طق ، ظت ، ظج ، ظح ، ظخ ،  
ظد ، ظز ، ظس ، ظص ، ظط ، ظع ، ظغ ، ظق ، ظك ، ظه ، غط ،  
كض ، كط ، هغ : وربما أدخلنا هنا بعض ما سبق في ما امتنع تنابعه  
أو قلّ لقرب المخارج ؛ لاجتماع شيء من القرب مع شيء من الغلط وما  
إليه فيه ،

— هذا ، وقد ذكر ابن جني وابن فارس — في هذه المسألة — أن هناك  
من التركيبات ما لا يتنافر ولا يثقل لكن العرب لم تستعمله ؛ إذ لم يريدوا  
استيعاب واستعمال جميع ما تيسر لهم استعماله من تركيبات الألفاظ (١) .  
وهذا يفسر ما لا يبدو التنافر أو الثقل واضحاً فيه من التتابعات . ولا يمكن  
أن يتخذ من هذا القدر من التتابعات — التي لم تقع أبداً أو وقعت بقلّة ،  
وليس بينها تقارب مخارج ، ولا يتضح فيها الغلط — مطعن على تأثير  
تقارب المخارج والغلط في منع التتابعات أو قلّها ، لأن اطراد انعدام  
التتابعات أو قلّها في جميع حالات تقارب المخارج يقطع بصدق هذه  
المقولة :



---

(١) انظر المحاسن - ١/ ١٥ ، والصاحي (مكرر) ٥٧ .



البصيرة الرابعة . حسن التأليف  
ما يجريه العرب في ألفاظهم التي يشعرون -  
أويستشعرون - ثقلها من أنواع التخفيف  
كالإبدال ، والتقريب بكل صوره والحذف ، والزيادة

#### (أولا) التخفيف بالإبدال :

الإبدال معناه جعل حرف مكان آخر . ونقصد منه هنا ما كان للتخفيف :  
فيشمل الإبدال الصرفي بمعناه الواسع الذي يشمل الإعلال والإدغام ،  
وجانباً من الإبدال اللغوي (١) . ثم إننا سترجيء الكلام عن الإدغام ،  
والإعلال بالحذف ، إلى الفصلة الخاصة التي ستعقد لكل منهما .

— والإبدال من أكبر وسائل العربية وأهمها لتخفيف أبنية الكلم وتحقيق  
السلاسة واليسر في نطقها . ومواطنه في العربية كثيرة منتشرة ، ونسوف  
نعرض هنا أهم مقرراته صارفين النظر عن بعض التفاصيل وعما يخالف  
تلك المقررات شذوذاً . . . . .

ومن أجل الإيجاز في بيان وجه التخفيف في مقررات ذلك الإبدال نشير  
أولاً إلى ما يستثقل في العربية في هذا المجال :

— الأصل أن الحروف الأبجدية وحركاتها كلها خفيفة . وإنما يستثقل بعضها  
بالنسبة إلى بعضها الآخر بسبب ما يحوج إليه نطق المستقلات من الكلفة  
وذلك كالهزمة وسائر حروف الحلق بالنسبة لحروف الذلاقة مثلاً . ثم  
إنه قد يعثر بها بعد التركيب ثقل بسبب التضعيف أو الحركات أو تضاد

(١) لتحديد معنى مصطلح الإبدال وعلاقته بالقلب والإعلال بتلخيص - انظر القواعد  
والطبيقات في الإبدال والإعلال للشيخ عبد السميع شبانة ١ - ٨ .



الصفات . وأثقل الحركات الضمة ، وأخف منها الكسرة ، والفتحة  
أنفهن جميعاً (١) . والأمر كذلك في واو المدّ وياء المدّ وألف المدّ :  
الواو أثقلها والألف أخفها (٢) . ثم إن الواو والياء والألف قد يفارقن  
حالة المدّ هذه ويكنّ صوامت (الألف تعبير همزة) متحركات أو ساكنات .  
والواو حينئذ أيضاً أثقل من الياء ، وترجع الهمزة إلى ثقل المخرج .

— أما الحركات معهن فإن الضم والكسر يستقلان على كل من الواو والياء (٣) ،  
ويستقلان قبل كل منهما في بعض الحالات (٤) ، ويستقل توالي واوين (٥)  
وتوالي ياءين (٦) ، ومجئ أي منهما (الواو والياء) تلو الأخرى (٧) .  
كما يستقل توالي ضمتين ، وتوالي كسرتين ، ومجئ أي منهما تلو  
الأخرى (٨) . مع استثناء بعض حالات الفعل المبني للمفعول (٩) ،  
ومع التجاوز عن بعض التفاصيل .

— وقد ذكرنا أن الهمزة تستقل للكلفة في إنحراجها ، لأنه كالتهوع — على  
ما قال سيبويه (١٠) . ولكنها مع ذلك لها جلادة الحروف الصراح  
وصلابتها ، وهذا يجعلهم يفرون أحياناً من حروف العلة إليها بالقلب  
عندما يقع أي من تلك الحروف موقفاً يجعله عرضة للضعف والقناء ،  
أو يحرك فيه بحركة ثقيلة عليه ، أو يتعذر نطقه فيه .

\*\*\*\*\*

- (١) انظر الكتاب ٤/ ٢٧ + ٢٢٥ - ٢٢٦ + ٢٨٢ .
- (٢) الكتاب ٤/ ١٦٧ + ٢٢٨ + ٢٨٢ .
- (٣) انظر الكتاب ٤/ ٢٨٢ .
- (٤) الكتاب ٤/ ١٦٧ + ٢٨٢ .
- (٥) الكتاب ٤/ ٢٥٧ .
- (٦) أخذاً من كراهية توالي واوين انظر الكتاب ٤/ ٢٨٢ .
- (٧) لكراهية الواو بعد الياء انظر الكتاب ٤/ ١١١ + ٢٦١ + ٢٨٢ .
- (٨) انظر شرح الرضوي ١/ ٣٥ - ٣٦ .
- (٩) كصبيح التلاقي والثقل والفتل عندما تليها الحروف .
- (١٠) الكتاب ٢/ ٥٤٨ .

هذا ، والإبدال المقصود به التخفيف - قد يتمثل التخفيف فيه في إبدال الحرف الخفيف من آخر ثقیل - دون نظر إلى حرف آخر في الكلمة ، وقد يتمثل في الإتيان بحرف يناسب آخر في الكلمة بدلاً من حرف لا يناسبه ، وهذا الأخير هو الإبدال للمقاربة أو التقريب بين حرفين ،

### ( الإبدال لغیر التقريب )

#### الإبدال للتخفيف في الوقف :

١ - تبدل تاء التأنيث المتصلة بالاسم هاء جوازاً عند الوقف مثل رحمة وصلاة (١) . ولا شك أن الإبدال مناسب تماماً لحالة الوقف ، لأن الهاء لا كلفة لها إنما هي نفس لا اعتياص فيها (٢) . فتناسب ذلك حالة الوقف التي ينتهي فيها الإنسان إلى النفس وحده .

٢ - وشبيه بهذا التخفيف المريح إبدال تنوين النصب ونون التوكيد الخفيفة ألف مد في الوقف (٣) مثل رأيت خالداً ، ولنديها ، وألف المد أخف الحروف فهي أنسب لحالة الوقف .

#### الإبدال للتخلص من ثقل التضعيف :

أشرت من قبل إلى أن الحرف قد يثقل بتضعيفه . قال سيويو : « اعلم أن التضعيف يثقل على السنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد » (٤) . ولكن الثقل في كون عين الفعل ولامه - مثلاً - مثلين ثقل نسبي يتخلصون منه بالإدغام . ثم قد يحدث أن تضعف عين هذا الفعل فتجتمع ثلاثة أمثال يثقل عليهم نطقها ، لأن نطق المثلين يشبه مشي المقيد ، فقد يتخلصون من هذا الثقل بإبدال آخر تلك الأمثال حرف مد . ومن هذا أن ربّي أصلها ربّب ، ودُمّي في مثل قوله تعالى :

(١) انظر الكتاب ١٦٦/٤ .

(٢) هذه عبارة الخليل ( العين - درويش ١/٦١ ) .

(٣) انظر الكتاب ١٦٦/٤ وشرح المفصل ٢٠/١٠ .

(٤) الكتاب ٤١٧/٤ .

« وقد خاب من دسأها » (١) أصلها دسّس ، ودكّى في قوله تعالى : « فدلّاهما بغرور » (٢) أصلها دلّل — من الدلالة ، وتصديّة في : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّة » (٣) (أى صغيراً وتصفيقاً) أصلها تصنيد من صدّد ، وتصدّى في « فأنت له تصدّى » (٤) (أى تعرض له) أصله تنصّد ، ولم يتسنّه في « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه » (٥) (لم يتغير) أصلها يتسنن — في أحد القولين ، وتلظّى في « فأندرتكم ناراً تلظّى » (٦) أصلها تتلظظ ، ويتمطّى « فذهب إلى أهله يتمطّى » (٧) أصلها يتمطّط ، وتسرى (أى اتخذ سرية أى أمة للفراش) أصلها تسرّر ، وتلعّى (أى أصاب لعاعة أى يسيراً من الشراب أو الطعام) أصلها تلّع ، وليّ أصلها لبّس ، وتقضى بمعنى انقضّ أصلها تقضض قال رؤبة :

تَقْضَى الْبَازَى إِذَا الْبَازَى كَسَّرَ

. وتقضى الأمر أصلها تقصصه ، وتظنّى أصلها تظنن . . (٨) وهذا مع كثرته وانتشاره ليس مقيساً .

— وواضح أن إبدال أحد أضعاف الحرف المضعف إلى حرف مد يخفف نطقه تخفيفاً كبيراً .

(ثانياً) — التخفيف بتقريب حروف الكلم بعضها من بعض :

. هذا التقريب يشمل عدة أبواب هي الإبدال ، والمضارعة بالمعنى الذى اخترناه ، والإمالة ، والإدغام ، والإتباع . وهذا الشمول نبه عليه

(١) من الشمس ١٠ .

(٢) من الأعراف ٢٢ .

(٣) من الأنفال ٣٥

(٤) من عبس ٦ .

(٥) من البقرة ٢٥٩ .

(٦) من الليل ١٤ .

(٧) من القيامة ٣٢ .

(٨) انظر في كل ذلك لسان العرب في تراكيب الألفاظ التى ذكرت ، والقلب والإبدال

لاين السكيت ٥٨ وما بعدها ، وشرح المفصل ٢٤/١٠ — ٢٦ .



سيبويه (١) ومن بعده من الأئمة (٢) يربطهم بين الظواهر المعنونة بهذه الأبواب ، وتشبيههم بعضها ببعض ، وتفسيرهم لكل منها بأنه من تقريب الحروف بعضها من بعض . وكان ابن جني أقوى الجميع تعبيراً عن دخول هذه الظواهر جميعاً تحت باب واحد ، حيث عقد باباً سماه باب الإدغام الأصغر (٣) ، وعرف هذا الإدغام بأنه « تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك » . أدخل فيه ظواهر الإمالة ، إبدال فاء افتعل طاء ، إبدالها دالا ، إبدال السين قبل الحرف المستعلي صاداً كما في صُتت أى سقت ، قلب السين تاء في ست ( أصلها سدس ثم أبدلوا الدال أيضاً تاء وأدغموا ) ، إتباع الحركات في نحو شعير وبعير ، فتح عين المضارع إذا كان حلقى العين أو اللام ، الإتباع في نحو الحمد لله ، إشراب الصاد صوت الزاى في نحو مصدر ، ولم يحرم من فصد له ، تخفيف الهمزة بين بين (٤) . ثم قال : « وجميع ما هذه حاله مما قرب فيه الصوت من الصوت جار مجرى الإدغام بما ذكرناه من التقريب ، وإنما احتطنا له بهذه السمة التي هي الإدغام الصغير ، لأن في هذا إيذاناً بأن التقريب شامل للموضعين ( يعنى الإدغام الأكبر والإدغام الأصغر ) ، وأنه هو المراد المبغى في كلتا الجهتين » (٥) . وكلامه هذا الأخير قاله من قبل عند الحديث عن الإدغام المعروف ( إدغام المثليين ، والمتقاربين سكن الأول أو تحرك )

(١) انظر الكتاب ج ٤ حيث أطلق سيبويه التقريب على الإمالة وعلى الإدغام ص ١١٧ ، وعلى الإتباع ص ١٤٦ ، وعلى الإبدال ص ١٨٢ ، ٤٦٨ ، ٤٧٨ ، وعلى المضارعة ٤٧٩ وحيث شبه الإمالة بالمضارعة وبالإبدال ص ١١٧ ، وبالإدغام ١٢٩ ، وحيث شبه كسر الضمير في به ونحوه بالإمالة وبالمضارعة ص ١٩٥ ، ١٩٦ وحيث سمى المقاربة إدغاماً ص ١١٧ ، والمضارعة إدغاماً ص ١٩٦ وتقريباً ٤٧٩ وهكذا .

(٢) انظر مثلاً شرح المفصل حيث شبه الإمالة بالإدغام ٥٤/٩ ، وبالإبدال ٥٥/٩ ، ٥٧ وشبه الإبدال بالإمالة ٤٧/١٠ ، ٥٢ وجعل الإبدال من قبيل الإدغام ٥٣/١٠ وذكر في ٥٤/٩ ، ٥٧ ، ٤٧/١٠ ، ٥٢ ، ٥٣ أن ذلك كله من تقريب الصوت إلى الصوت .

(٣) انظر الخصائص ١٣٩/٢ - ١٤٥ .

(٤) نفسه والظواهر المذكورة هنا على ترتيبها فيه .

(٥) نفسه ص ١٤٥ .

إذ قال بعد عرض أمثلة من أنواعه : « والجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت » (١) .

— ونظراً لأن الإدغام قد استقل بمعنى عرفي محدد ، ولأن المعنى الجامع لهذه الأبواب وهو تقريب الحروف بعضها من بعض يشمل الإدغام أيضاً ، ولأن ذلك المعنى الجامع قد ذكره سيوييه ومن بعده وربطوا به بين تلك الأبواب ، فقد فضلت أن أجعله هو عنوان هذه الظواهر ، بدلاً من ذلك العنوان المشترك الذي وضعه ابن جني .

هذا ، ووجه الخفة في تلك الظواهر عبر عنه سيوييه بقوله : « ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد من الحروف ، وليكون عملهم من وجه واحد » (٢) . ووجهه بالنسبة للإدغام خاصة أن اللسان يرتفع بالحرفين مرة واحدة من موضع واحد (٣) .

وسندرس كلا من الظواهر المذكورة إن شاء الله تعالى ، إلا أننا سندرس أولاً ما وقع من هذه الظواهر في الحروف (٤) . وسندم الكلام عن الإبدال التقريبي ليتصل بما قبله من الإبدال غير التقريبي . فإذا فرغنا من التقريب في الحروف بكل صورته ، تناولنا التقريب في الحركات ضمن موضوع حسن تأليف الحركات .

(١) نفسه ص ١٤٠ . (٢) انظر الكتاب ٤/٤٦٨ .

(٣) انظر مثلاً الكتاب ٤/١٢٩ ، ٤٣٧ .

(٤) عرفت العلاقة بين الفتحة والضمة والكسرة من ناحية وبين الألف والواو والياء من ناحية أخرى وأن الأولى هي أبعاض الأخيرة منذ الخليل ، وبذا عدت حروف المد حركات طوالاً . إلا أننا هنا سنمدها مع الحروف شاملة استعمال الواو والياء حرفين صامتين ، وكذلك الهززة . وذلك لكثرة التداخل والتحول بينها وتيسيراً للبحث . وسنبقى الإمالة مع الحركات إذ ليس فيها قلب .

## ( الإبدال للتقريب )

الإبدال للتقريب بين حروف العلة ( واو ، آء ) بعضها مع بعض أو مع الحركات :

١ - تبدل كل من الواو والياء همزة إذا وقعت أى منهما بعد ( ألف زائدة )  
- في الطرف كما في سماء وأبهاء وقضاء ( أصلهن مهابو ، وأبهاو ،  
وقضاي - وتطرفهن يعرضهن للقضاء ) ، أو عيناً لاسم فاعل مثل  
صائع ودائن ( من صاوغ ودائغ ) ، أو بعد ألف مفاعل وشبهه  
( وقد كانت مدة زائدة في المفرد ) نحو حلائب وقصائذ ( من حلاوب  
وقصايد ) أو ثاني حرفي علة بينهما ألف مفاعل نحو نيائف وبوائع  
ومسائذ ( من نيايف وبوايع ومساويد ) (١) وكل ذلك إبدال واجب ،  
وما بعد الحالة الأولى فهو لتخلص من الحركة الثقيلة .

٢ - ١ - تبدل الواو همزة إذا وقعت أول واوين في صدر الكلمة وتحركت  
الثانية كأواصل جمع وأصلة ( وواصل ، وأجب - تخلصا  
من توالي واوين ) فإذا كانت الثانية ساكنة كان جائزاً نحو  
وورعه (٢) .

ب - تبدل الواو همزة - جوازاً - إذا ضمت مثل أجوه ، أثوب  
( وجوه ، أثوب ) أو كسرت وهي مصدرية مثل إشاح ( وشاح ) (٣)  
( على خلاف في أطراد الإبدال المكسورة هذه ) .

(١) انظر القواعد والتطبيقات في الإبدال والإحالة ص ١١ - ١٧ .

(٢) نفسه ١٨ + ٢٢ .

(٣) نفسه ٢٠ + ٢٢ ويقتضى أنه لكون الياء لازمة وغير متحركة .



٣ — تبدل الياء همزة جوازاً إذا وقعت بين ألف وياء نسب نحو رائى  
وغائى فى النسب إلى راية وغاية (رايى وغايى) (١) .

٤ — تبدل الألف همزة إذا تطرفت بعد ألف زائدة نحو حمراء (حمراء)  
أو وقعت بعد ألف مفاعل وهى مدة زائدة فى المفرد مثل رسائل (٢) (رسائل)  
(تعذر نطقها ألفاً فيهما) .

٥ — تبدل الألف ياء إذا انكسر ما قبلها أو جاء بعدها ياء مثل مصاييح  
وغليىم (مصاييح — غليىم — تعذر) (٣) .

٦ — ١ — تبدل الواو ياء إذا وقعت بعد كسرة : وهى متطرفة كـرضى  
والداعى (رضو ، الداعو) ، أو وهى ساكنة : ميزان ميقات  
اعشيشاب (موزان ، موقات : اعشوشاب) ، أو وهى عين  
المصدر : صيام ، وانقياد (صوام ، انقواد) ، أو وهى عين  
لجميع صحيح اللام : ديار وحيل (دوار ، حيول) (٤) .

ب — تبدل الواو ياء إذا وقعت متطرفة بعد ضمة فى اسم معرب :  
الثلاثى (الثلاثو) ، أو وقعت لام اسم المفعول من الثلاثى  
المكسور العين : مرضى عنه (مرضو) مقوى عليه (مقوؤ) .  
بـ توالى واوأت ، أو لام فبول جمعاً : دلى وعصى  
(دلوؤ ، عصوؤ — توالى واوين) ، أو وقعت لاماً لوصف  
على فعلى نحو الدنيا والعليا (٥) (دنياوعلنوا — الضمة فى  
الأول والواو قبيل الطرف دون حاجز قوى) .

تبدل الواو ياء جوازاً إذا وقعت عيناً لجميع على فعل مثل  
صيتىم وجيىج (صووم وجووع — توالى واوين قبلهما ضمة) (٦) .

(٢) نفسه ٤٩-٥٣  
(٤) نفسه ٤٩-٥٣  
(٥) نفسه ٦٧

(١) نفسه ٢١  
(٢) نفسه ٥٨  
(٥) نفسه ٥٧ ، ٦١ ، ٦٦

٦ - تبدل الواو ياء إذا اجتمعت مع الياء وسكن السابق منهما  
(وشروط أخرى) نحو طي ، سيد (طوى . سيود) (١) .

٧ - تبدل الياء واواً إذا وقعت بعد ضم وهي ساكنة نحو موقظ وموسر  
(مُيقظ ومُيسر) أو وقعت بعد ضم وهي متطرفة كهُو ، قَضِر (٢)  
(نهي . قضى) .

٨ - إذا تحركت الواو - أو الياء - وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً مثل قال  
وخاف ومال (كقول - خوف - ميل - من الخفيف إلى الأخرى) (٣) ،

٩ - ١ - الهمزة إذا كانت واحدة جاز تخفيفها كما يلي - إن كانت  
مفتوحة وقبلها كسر أو ضم تبدل ياء كاليسر (يسر) أو واوا  
كالجُون (جُون) (٤) . وإذا كانت مفتوحة وقبلها فتح  
أو كانت متحركة بغير الفتح وما قبلها متحرك فإنها تخفف  
بإبدالها إلى حركة بين يين . سأل ، كُؤم ، درهم ، أختك ، لا تخمه ،  
سُئِم ، سُئِل ، لا يملك (٥) . وإذا كانت متحركة وقبلها  
ساكن فيجوز تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على ما قبلها :  
مَنْ بُوْكَ (من أبوك) ، مَنْ مَكْ (من أمك) (٦) . وإذا  
كانت هي ساكنة خفت - جوازاً - بإبدالها حرفاً من جنس  
حركة ما قبلها (٧) .

ب - إذا تابعت همزتان فإن كانت الثانية ساكنة قلبت حرف مد  
من جنس حركة الأولى مثل آمن إيماناً (أُأْمَنَ إِيْمَاناً) وإن  
سكنت الأولى أدغمت في الثانية نحو سأل ورأس ، وإن  
تحركتا قلبت الثانية حرف علة نحو أمة ، أوبّ جمع أب

(٢) نفسه ٧٨ - ٨٣ .

(٤) الكتاب ٥٤٣/٣ .

(٦) نفسه ٥٤٥ .

(١) نفسه ٥٨ - ٦٠ .

(٣) نفسه ٩١ - ٩٢ .

(٥) الكتاب ٥٤١/٣ - ٤٤ .

(٧) نفسه ٥٤٣/٣ - ٥٤٤ .

(على تفصيل) ، وتلك الأحكام واجبة إن كان تتابع الهمزتين في كلمة ، وجائزة إن كان في كلمتين (١) .

١٠- إذا وقعت الواو أو الياء فاء لصيغة افتعل أو أى من فروعها أبدلت كل منهما تاء تدغم في تاء الافتعال : مثل اتصل ، اتسر (٢) (أصلهما اوصل ، ايتسر - فتخفوا من ثقل الواو والياء في ذاتهما ، وثقل تقلبهما الكثير إذا لم يبدلا تاء) (٣) .

~~~~~

إن تلك القواعد العامة المطردة ، والتي تتابع أبنية اللغة التي فيها حروف العلة الواو والياء والهمزة والألف - تتابعها في مختلف أوضاعها من تلك الأبنية ، وفي علاقاتها بعضها ببعض ، وبالحركات قبلها وبعدها لكي تحول الثقل إلى خفيف ، والخفيف إلى أخف . . هذه المتابعة الدائبة بتلك القواعد العامة برهان تطبيقي لا جدال فيه ، على حرص هذه اللغة على خفة أبنيتها ، وعلى تحقق هذه الخفة أبلغ تحقق .

---

(١) انظر القواعد والتطبيقات (شبانة) ٣٦-٤٤

(٢) نفسه ١٠٢ - ١٠٤ .

(٣) خفيفة افتعل من وصل مثلا ينون إغغام تجرى هكذا (ايصل ياتصل موصل ايصال ..)



## الإبدال للتقريب بين غير حروف العلة

وقد عبّر سيديويه عن بعض ما هنا بالمضارعة — ومعناها اللغوى المشابهة — وقد استعملها هو بمعنى إشراب حرف صوت آخر بحيث يضارعه (١). وهدف ذلك الإشراب هو تحقيق الانسجام بين هذا الحرف المشرب وحرف آخر في الكلمة التي تجمعهما . وبهذا الانسجام تخف الكلمة ؛ إذ يختصر عدد الهيئات التي تتخذها أعضاء النطق لأداء الكلمة . وقد أدخل ابن جني ظاهرة المضارعة هذه ضمن ما سماه الإدغام الأصغر وهو تقريب الحرف من الحرف (٢) .

~~~~~

١ — في صيغة ( افعل ) فاء الكلمة ساكنة ، وبعدها التاء الزائدة . وسكون فاء الكلمة يعنى أنه ليس هناك فاصل بينها وبين التاء ( الحركة تفصل ) . فإذا كانت الفاء حرفاً يضاد التاء في صفاتها ثقل النطق الدقيق لفاء الكلمة والتاء معاً ، فيتخلصون من هذا الثقل بإبدال التاء حرفاً يناسب فاء الكلمة :

أ — فالطاء أبدلت من التاء « إبدالا مطرداً » إذا كانت فاء افعل أحد حروف الإطباق وهي الصاد والضاد والطاء والظاء نحو اضطرب واضطرب واطرد واطظلم . والأصل اضطرب واضطرب واطرد واطظلم . والعلة في هذا الإبدال أن هذه الحروف مستعالية فيها إطباق ( وتفتخيم ) ، والتاء حرف مهموس غير مستعمل ( وهو رقيق ) . فكبرهوا الإتيان بحرف بعد حرف

---

(١) مصطلح المضارعة في رأس فصل في « الكتاب » ٤/٤٧٧ ، وكلامه هناك يفسره :  
وقد استعمله الزمخشري وابن يعيش وفسراه ( انظر شرح المفصل ١٠/٥٢ - ٥٣ ) .  
(٢) انظر الخصائص ٢/١٤١ - ١٤٢ .

بضاده ويتأفیه ، فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد ،  
وفي الطاء إطباق واستعلاء يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت ،  
ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخف عليهم . . وهذا  
الإبدال وقع لازماً ، فلا يتكلم بالأصل (١) .

ب - « ومتى كانت فاء افتعل زاء (أو دالا أو ذالا) قلبت التاء  
دالا ، وذلك نحو ازدجر (وادّهن واذدكر) ، والأصل  
ازتجر (وادّهن واذتكر) . فلما كانت الزاء (والدال والذال)  
مجهورة ، والتاء مهموسة ، وكانت الدال أخت التاء في المخرج ،  
وأخت الزاء (والدال والذال) في الجهر قربوا صوت  
أحدهما من الآخر ، وأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها  
بالزاء (وأختها) وهي الدال . فقالوا ازدجر (وادّهن  
واذدكر) ، والمراد بذلك كله تقريب الصوت بعضه من  
بعض . . وهذا ونحوه قياس مستمر (٢) .

~~~~~

٢ - « السين إذا وقعت قبل غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز إبدالها طاء  
كقولك صالغ (أصلها سالغ وهي المسن من البقر) ، و «أصبغ  
نعمه» (أسبغ) ، وصنغر (سنغر) ، وصلخ (سلخ) ، و «مس  
صقر» (مس سقر) ، ويصاقون ، وصبقت (كلاهما من سوق الدابة  
مثلاً) ، وصبقت ، وصويق ، والصمّلق (السملق : القاع الصفصيف) ،  
وصراط ، وصاطع ، ومصيطر (٣) قال ابن يعيش : « إنما ساغ قلب  
السين صاداً إذا وقعت قبل هذه الحروف من قبيل أن هذه الحروف

(١) شرح المفصل ٤٦/١٠ - ٤٧ باختصار لتجنب الاستطراد وتكرار الأمثلة . وما بين  
الأقواس إضافة .

(٢) شرح المفصل ٤٨/١٠ - ٤٩ وقد أضفت وقوع الدال والذال في فاء افتعل تبعاً  
للصرفيين (انظر شرح الرضى الشافية ٢٢٧/٣ ، والقواعد والتطبيقات شبانه ص ١٠٧) . وأما  
الزخشرى وابن يعيش فقد جعلوا الموضعين من الإبدال للإدغام (شرح ابن يعيش ٤٩/١٠٠)  
وحافظت على نص ابن يعيش «هذا هنا» لأن في كلام سيويه وغيره مغناه لوضوحه ووفائه . . .  
(٣) هذا النص للزخشرى (شرح المفصل ١٠/٢٥) وما بين الأقواس إضافة للتوضيح .

مجهوزة (١) مستعلية (ومفخمة لأن التفخيم لازم للاستعلاء) ، والسين مهموس مستقل (ومرقق) ، فكرهوا الخروج منه إلى المستعلى ، لأن ذلك مما يثقل ، فأبدلوا من السين صاداً ، لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير (أى وهى مجانسة لها لأنهما من مخرج واحد) ، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء (والتفخيم) فيتجانس الصوت ولا يختلف ، وهذا العمل شبيه بالإمالة في تقريب الصوت بعضه من بعض من غير إيجاب (٢) . وقد صرح البطايرسى وابن يعيش بقياسية هذا الإبدال بشروطه — أى مع كونه جائزاً .

٣ — « وإذا وقعت (السين) قبل الدال ساكنة أبدلت زايًا خالصة كقولك يَزْدَر إذا تحير (من سَدِر كفرح) ، ويزْدَل في يسدل ثوبه إذا أرخاه . والعلة في ذلك أن السين حرف مهموس ، والدال حرف مجهور ، فكرهوا الخروج من حرف إلى حرف ينافيه (أى مع سكون الأول ، واشتراك طرف اللسان في إخراجهما) ، ولم يمكن الإدغام ، فقربوا أحدهما من الآخر ، فأبدلوا من السين زايًا ؛ لأنها من مخرجها ، وأختسها في الصفير ، وتوافق الدال في الجهر ، فيتجانس الصوتان » (٣) ،

٤ — « والصاد الساكنة إذا وقعت قبل الدال جاز إبدالها زايًا خالصة في لغة فصحاء من العرب . ومنه (المثل) « لَمْ يُحْرَمَ مَنْ قُزِدَ لَهُ » ، وقول حاتم : هذا قُزِدَى أَنَّهُ . وقال الشاعر : « ترك ذى الهوى ، خير من الصرم مُزْدراً » . وجاز أن تضارع بها الزاى ، فإن تحركت لم تبدل ، ولكنهم قد يضارعون بها الزاى (أى يشربونها جهر الزاى فتصير صاداً مجهورة) فيقولون صَدَرَ ، وصدق ، والمصادر ، والصراط (يعنى بالإشراب المذكور) ، قال سيويه : « والمضارعة أكثر وأعرب من

(١) الخاء مهموسة ، وكأنه تكلم عن المجموع وفاته استثناء هذه .

(٢) شرح المفصل ٥١/١٠ - ٥٢ وما بين الأقواس الكبيرة إضافة للتوضيح .

(٣) انظر شرح المفصل ٤٩/١٠ ، والمزهر ٤٦٩/١ - ٤٧٠ .



الإبدال ؛ والبيان أكثر (١) ، وواضح من إطلاق الزنجشري جواز الإبدال والمضارعة عند سكون الصاد ، وإجازته المضارعة وحدها عند تحرك الصاد ، ومن قول سيويه المذكور آنفاً أن جواز المضارعة في الصاد قبل الدال هو جواز عام قياسي ، وأن إبدالها زايًا جائز في حالة سكون الصاد فقط (٢) .

٤ - قال الزنجشري : « ونحو الصاد في المضارعة الجيم والشين . تقول هو أجدر وأشدق » . وهو يعني أن الجيم والشين إذا سبقا الدال ساكنين ضورع بهما الزاي لتناسبا الدال (٣) . والواضح من سياق كلام الزنجشري - وسيويه من قبله - أن جواز المضارعة في الجيم والشين الساكنين قبل الدال هو جواز عام أيضاً (٤) . والأمر كذلك في الجيم قبل التاء في صيغة افتعل كاجدمعوا واجدروا ( أى مع قلب التاء دالا ) - كما هو مقتضى كلام سيويه (٥) .

٥ - ويدخل في هذا النوع من الإبدال للمضارعة إبدال النون الساكنة ميماً إذا وقعت قبل الباء نحو « انبعث ، من بعد » وذلك لمباينة لين النون وغنتها لشدة الباء ، فجاء بالميم لمشاركتها النون في الغنة ، والباء في المخرج (٦) .



- (١) شرح المفصل ٥٢/١٠ . وقوله (فزدله) أصلها (فصدله) بالبناء للمفعول . أسكنت الصاد تخفيفاً ، ثم أبدلت زايًا . وكانوا يفصلون الأتعام ليتبلغوا بدنها عند الشدة . وطلب إلى حاتم أن يفصل ناقة ، فعرقها ( لتنحر ) وقال هذا فزدى أنه أى فصدى أنا . وكلمة مزدبراً في البيت الذي جئنا ببعضه رسمت في الكتاب بالياء مع أنها من الصدر أو الإصدار - لا من الزراية .
- (٢) شرح المفصل ٥٢/١٠ . (٣) نفسه ٥٣/١٠ - ٥٤ .
- (٤) ذكرهما سيويه في الباب بعد المضارعة في الصاد والإبدال في الزاي بدون تحفظ (الكتاب ٤٧٩/٤) وكذلك فعل الزنجشري ( انظر شرح المفصل ٥٢/١٠ - ٥٣ ) .
- (٥) عبارة الكتاب ( ٤٧٩/٤ ) بعد الكلام عن أجدر وأشدق : « وقد قربوها ( أى الجيم ) منها ( أى الزاي ) في افتعلوا حين قالوا : اجدمعوا أى اجتمعوا ، واجدروا يريد اجتروا . لما قربها منها في الدال ( يعنى مع الدال ) وكان حرفاً مجهوراً - قربها منها في افتعل لتبدل الدال مكان التاء ، وليكون العمل من وجه واحد » . وعد الزنجشري إبدال التاء دالا هنا لغة ( شرح المفصل ٤٨/١٠ - ٤٩ ) .
- (٦) انظر القواعد والتطبيقات ١٠٨ - ١٠٩ .

هذا ، ولم أقف عند إبدال الواو في صدر الكلمة تاء كما في تجاه ،  
وقراث ، وكما في تُدْعَى ( بالضم وكهْمَزَة : الدَّعَاة ومحض العيش ) ، وتكأة  
( ما يتكأ عليه ) ، ورجل تكلة ، وهي التخصة ، والهمة ( الأربع كهْمَزَة )  
والتُّكْلان : والتقوى ، والتقية ، والتلاد ، وتري (١) . . . ونحوها ،

ولا عند إبدال الهاء من الميمزة في هرقت الماء ، وهرجت الدابة ،  
وهزت الثوب ، وهردت ( أى أردت ) ، وهياك (٢) . . .

ولا عند ما هو إلى ذلك من المتفرقات غير المطردة .

كما لم أقف عند الإبدال اللغوي الذي لا يظهر فيه التخفيف (٣) .

=====

---

(١) انظر طرح الفصل ١٠ / ٢٦ - ٢٨ .

(٢) لقمة من ٤٧ - ٤٨ .

(٣) كنكسر ما في كتاب اللباب والإبدال لا يظهر السكوني فالنظر إن قلب ،





## ( الإدغام )

( وهو من التقريب كما ذكرنا من قبل ، لأنه لا يتم إلا بإبدال الحرف المدغم ليكون مثلاً للمدغم فيه ) .

— سبقت الإشارة إلى أن تكرار الحرف في كلمة ما يثقلها . قال سيبويه : « وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ( يعني من موضع بعينه لحرف ما ) ، ثم يعودوا له ( من أجل نطق مثله ) . فلما صار تعباً عليهم أن يدركوا ( يعني يتابعوا بين حرفين ) في موضع واحد ولا تكون مهلة ، كرهوه وأدغموا ؛ لتكون رفعة واحدة ( أى لترتفع أو تنبوا أعضاء النطق بهما مرة واحدة ) . وكان ( هذا الإدغام ) أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك » (١) . فالإدغام إذاً للتخفيف .

— وقد أخذت به العربية سبيلاً إلى تخفيف نطق الكلم أوسع . أخذ حتى يكاد يجري في كل تتابع لحرفين متماثلين أو متقاربين في كلمة أو كلمتين . — وسنوجز الكلام عن الإدغام لكثرة تفاصيله ، لكن بحيث نكون أهم معالمه واضحة إن شاء الله تعالى .

— الإدغام هو إدخال الحرفين المتتابعين — إذا كانا متماثلين أو متقاربين — أولهما في الآخر ، بحيث يخرجان من مخرج واحد دفعة واحدة (٢) . ويكون ذلك الإدغام بإسكان الحرف الأول إن لم يكن ساكناً ، وإبداله مع ذلك إلى مثل الثاني في المتقاربين .

(١) الكتاب ٤/١٧ وما بين الأقواس إضافة للتوضيح .  
(٢) « هذا من جمع المعنيين اللغوي والاصطلاحي وانتظر شرح الرضى ٣/٢٣٥ : « وعبرة « أولهما في الآخر » في التفرقة لا يفترحن عليها . بمثل « أحط » في إدغام « أحطت » لأن مثل هذا نادر ، ويفسر بتغليب صفة الأول .

- وكما هو صريح في التعريف فإن الإدغام إما أن يكون بين مثلين أو متقاربين :

(والأصل أنه يعنى بالمثليين ما اتفقا مخرجاً وصفة ( أى أن يكون الحرف الثانى مثل الأول تماماً أى هو تكرار الأول ) ، ويعنى بالمتجانسين ما اتفقا مخرجاً واختلفا صفة ( كجموعه ت د ط فحروفها متجانسة وكذلك ز س ص ، ث ذ ظ وهكذا ) وبالمقاربين ما تقاربا مخرجاً أو صفة (١) كالباء مع القاء . وسيأتى كثير من الأمثلة .

والقاعدة أن كل حرفين التقيا أولهما صبا كن وكانا مثليين أو جنسين وجب إدغام الأول منهما لغة وقراءة . فالمثلان نحو اضرب بعصاك . . . والجنسان نحو قالت طائفة ، هل رأيتم . . . ما لم يكن أول المثليين حرف مد نحو « قالوا وهم » ، « الذى يوسوس » ، أو أول المتجانسين حرف حلق نحو قاصفح عنهم (٢) .

- ونحن نستعمل مصطلح المتقاربين هنا بما يشمل المتجانسين أيضاً . ويمكن القول بصورة عامة إن إدغام المثليين يكون واجباً في حالتين :

( أ ) إذا سكن المثل الأول وتحرك المثل الثانى سواء كانا في كلمة مثل الحب ( جمع حبة ) واللّب والحجّة والجدّ والعزة الخ ونحو مدعو ومرضى ( أصلهما مدعو ومرضون ) ، أو في كلمتين نحو قلّ لهُ ، قد دخل ، اضرب به (٣) .

( ب ) إذا تحركا وهما في كلمة واحدة نحو صيبٌ وفُرٌّ ، أهلٌ ، وسارٌّ ، وتقالٌ ، واشتدُّ ، واستمرَّ ( وسائر الأفعال المضعفة في العين

(١) من الإتيان النوع ٣١ ( ٩٦/١ من الطبعة غير المحققة ) .

(٢) لغة .

(٣) يشترط ألا يكون الأول هاء سكت ، أو مدأ في الآخر ، وألا يؤدبه الهمزة للتباس بناء بيته . ويصبح جائزاً في مثل تروى ( الخلفة عن تروى ) . انظر القواعد بالعربية .

واللام دون فاضل أو مانع إدغام ، لأن الأصل في الفعل تحرك عينه (١) ونحو الأشد ، والأظلم ، ومعد ، والمحبة . الخ .

### ويكون جائزاً في الحالات الآتية :

(أ) إذا تحركا وهما في كلمتين نحو فيه هدى ، قال له ، نعم ما فعلت (٢) .

(ب) إذا تحركا في كلمة لكن حركة الثاني عارضة نحو اردد القوم ( حركة البدل الثانية للتخلص من التقاء الساكنين ، فإذا قلنا اردد خالدا ذهب ) فيجوز أن يدغم فيقال رد القوم (٣) .

(ج) إذا كانا تامين في افتعل ، أو في صدر الماضي تفعل أو تفاعل ، أو تامين مزيدين في صدر مضارع أى من الصيغتين فيجوز أن يقال في اكتب كتب وكذا يجرى الإدغام في المضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل الخ (٤) . ويجوز في تتبّع وتتابع اتبّع واتابع ، وكذلك المضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل الخ فيقال يتبّع ويتابع ومتبّع ومتتابع الخ (٥) .

ويجوز في تنزل وتتناوم : لا تنزل ، لا تناوم (٦) .

(د) إذا كانا في مضارع أو أمر مضعفين سكن آخرهما لغير نون النسوة

(١) هذا الأصل في الثلاث مجرداً ومزيداً - ولا يستثنى من ذلك إلا ضيفتا فعل ( قلن ) ، وفعل ( زهياً ) . أما الرباعي فالعين تسكن في مجرده فعل ( دحرج ) ، وفي تفعل ( تدحرج ) من مزیده . انظر الإمتدراك للزبيدي ٣٨ - ٤٠ .

(٢) القواعد والتطبيقات ١٧٢ . (٣) نفسه ١٧٣ .

(٤) انظر شرح الرضى الشافية ٢٣٩/٣ - ٢٤٠ . والمضارع يكتب ( باء المضارعة مفتوحة على الأصل في صيغة افتعل ) والكاف مفتوحة ، إذ نقلت إليها فتحة التاء الأولى والتاء مشددة مكسورة ، والأمر يؤخذ من المضارع ، والمصدر يكتب بكسر الكاف نقلاً من التاء الأولى ، والتاء مشددة .

(٥) انظر شرح الرضى الشافية ٢٤٠/٣ .

(٦) يشترط للإدغام هنا أن يسبق بمد أو حركة .



نحو لم يردد ، اردد ، ولم يستعفف واستعفف . فيجوز أن يقال :  
لم يرد ، رد ، ولم يستعف ، واستعف (١) .

— وكل حرف من الحروف الأبجدية يمكن أن يدغم في مثله — إذا انتفت  
الموانع — ما عدا حروف المد : فلا إدغام في نحو ظلموا واثلاً ، قول ،  
اكتبى ياسراً . وتتابع ألقى مدته متعذراً .

— وهناك أربع صيغ لا يدغم فيهن المثلاث هن : فَعَلَ كَسَبَب ، وفُعِلَ  
كذُلِّل ، وفِعِلَ كعِلِّل ، وفُعِلَ كدُرَّر (٢) . كما أن هناك موانع  
للإدغام (٣) .

~~~~~

#### إدغام المتقاربين :

والإدغام بين المتقاربين من أدل الدلائل على حرص العربية على تخفيف  
كلمتها ، وأنها لاتدع ظرفاً أو وضعاً يؤدي إلى التخفيف إلا اعتبلته ،  
لقد مر أنهم يدغمون المثلين المتتابعين سواء أكانا في كلمة أم في كلمتين .  
والآن فإننا بصدد بيان أنهم يدغمون المتقاربين سواء كانا في كلمة أو في  
كلمتين أيضاً . قال ابن يعيش : « اعلم أن الحروف المتقاربة تجري مجرى  
الحروف المتماثلة في الإدغام ، لأن المتقاربين كالمثاليين ، لأنهما من جنس  
واحد ، فالعلة الموجبة للإدغام في المثلين قريب منها في المتقاربين ، لأن  
إعادة اللسان (يعنى عند نطق المقارب) إلى موضع قريب بما رفعته عنه ،  
كإعادته إلى نفس الموضع الذى رفعته عنه ، ولذلك شبه بمشي المقيد .  
فإذا التقى حرفان متقاربان أدغم الأول منهما ( أى بعد إسكانه إن لم يكن  
ساكناً ) في الثانى » (٤) ٥١ .

(١) انظر لبعض التفاصيل — القواعد والتطبيقات ١٧٢ — ١٧٦ .

(٢) انظر القواعد والتطبيقات ١٧٦ .

(٣) نفسه وأهمها أن يتصل أولهما بمدغم نحو تردد ، أو ثانيهما بضمير رفع مشرك  
نحو حلت ، أو يكونا في وزن ملحق نحو مهد .

(٤) شرح المفصل ١٠/١٣٢ .

ثم إنه قد اشترط لجواز إدغام المتقاربين في كلمة ألا يؤدي إلى التباس  
بناءً ببناء (١) : فيجوز في الورد (كفرح) ود (٢) : وفي العتد (جمع  
عتاد) عُد ، وقد جمعوا العتود (الجدى الجذع) على عدان (والأصل  
عبدان) (٣) وقالوا امحى الشيء (والأصل امحى) وقالوا همش  
في منشرش (المجوز المسنة) (٤) . ولم يقولوا في الفعل من نحو  
(وتد) ود يد لثلاثتهم أنه من تركيب (ودد) وكذلك كرهوا الإدغام  
في كسنية ، وشاة زناء وغم زئم ، وكهواء وقسنية كراهية الإلباس (٥) .

والآن فإننا سنعرض الحروف مبينين ما يدغم فيه كل حرف منها  
سواء ورد ذلك في كتب اللغة أو في كتب القراءات الصحيحة ولو كان مختلفاً  
في القراءة به ، لأنه تبين من المعارضة أنه قد يسقط هنا من حالات الإدغام  
ما يذكر هناك (٦) — ولأن القراءات الصحيحة ليس فيها إلا ما يوافق العربية  
ولو بوجه — على ما هو الضابط في ذلك (٧) . والقراء يقسمون الإدغام  
إلى صغير وهو ما سكن أول الحرفين فيه ، وكبير وهو ما تحرك أول  
الحرفين فيه . وهم يطبقون في كل منهما على المتماثلين والمتقاربين على السواء (٨) .

(١) نفسه وانظر الكتاب ٤/٢٥٥ .

(٢) شرح المفصل ١٠/١٢٢ . (٣) انظر اللسان (عتد) .

(٤) شرح المفصل ١٠/١٣٣ . (٥) نفسه ١٣٢ — ١٣٢ .

(٦) السبعة في هذا العرض من كتب اللغة كتاب سيويه ، وشرح المفصل ، ومن كتب  
القراءات التيسير للداني والإقناع لابن الباذش ثم الإتيان ، أما مسألة سقوط حالة إدغام فإنهم  
لا يسقط من كتب القراءات ذكر حالة من حالات الإدغام الجائز أو الواجب إلا إذا كانت  
صورة التقاء الحرفين الواقع بينهما الإدغام لا توجد في القرآن الكريم . أما كتب اللغة فقد  
يسقط منها ، لسعة اللغة وصعوبة استقراءها .

(٧) قال ابن الجزري : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف  
للمتأينة ولو احتمالاً ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل  
إنكارها .. » ورد هذا الضابط إلى الأئمة : الداني ، ومكي بن أبي طالب ، والمهدوي (وهم  
متوفون في القرن الخامس) وقال إن الإمام أبا شامة لحقه ، وإنه مذهب السلف لا يثرف عن  
أحد منهم خلافة . (انظر ١/٩) .

(٨) انظر الإتيان أول النوع الحادي والثلاثين .

وقد أسلفنا القول في المتماثلين . فكلامنا هنا على المتقاربين - والتقارب في هذه المعالجة يشمل التجانس كما قدمنا . وسوف نتخفف من الأمثلة أحياناً بحيلين على المراجع :

الهمزة : لا تدغم في مقاربتها ، ولا يدغم مقاربتها فيها . وإنما تخفف بالتغير والخلف (١) .

الالف : لا تدغم في الهاء ، ولا في ما تقاربه (٢) .

الياء : تدغم في القاء اذهب في ذلك ( اذهبى . . ) . « وإن تعجب فعجب » (٣) . وتدغم في الميم اصحب مطرا ( اصحطرا ) « اركب معنا » (٤) .

الضياء : أدغمت في ث ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ( في اللغة والقراءة معاً ) مع إدخال إدغام تاء التانيث ( ) ، وأدغمت في ج ( في القراءة فقط ) « وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات » ، وفي د ( في اللغة فقط ) . « ومن أمثلة سيويه : انعب دلاما (٥) .

الهاء : تدغم في ت ، ذ ، س ، ش ، ض ( في اللغة والقراءة معاً ) ، وفي د ، ز ، ص ، ط ، ظ ( في اللغة فقط ) « وورث سليمان داود » . انعب ذلك (٦) .

الزيم : تدغم في ش ( في اللغة والقراءة ) ، وفي ت ( في القراءة وحدها ) « من الله ذي المارج تخرج الملائكة » . ابعج شيبا (٧) .

(١) انظر الكتاب ٤٤٦/٤ .

(٢) نفسه .

(٣) الكتاب ٤٤٨ والإيقان ٩٥/١ .

(٤) الكتاب ٤٤٧/٤ والإيقان ٩٥/١ .

(٥) الكتاب ٤٦٠/٤ - ٤٦٦ والإيقان ٩٤/١ ، ٩٥ والآية من س إبراهيم ٢٣ .

(٦) الكتاب ٤٦٠/٤ - ٤٦٦ والإيقان ٩٤/١ والآية من س النمل ١٦ .

(٧) الكتاب ٤٤٩/٤ ، ٤٥١ والإيقان ٩٤/١ والآية من س المارج ٤ .



الحاء : تدغم في ع « فمن زحزح عن النار » ، امدح عرفة (١) .

الحاء : تدغم في غ ( في اللغة فقط ) ، اسلخ غنمك (٢) .

البدال : تدغم في ت ، ث ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ظ ( في اللغة والقراءة معاً ) وتدغم في ج ( في القراءة فقط ) ، وتدغم في ط ( في اللغة فقط ) « من كان يريد ثواب الدنيا . . » انقد طالباً (٣) .

الذال : تدغم في ت ، د ، ز ، س ، ص ، ظ . وذلك في اللغة والقراءة كليهما . وتدغم ( في القراءة فقط ) في الجيم ، ( وفي اللغة فقط ) في ث ، ش ، ض ، ط . « اذ جعل فيكم أنبياء » . نخذ شنباء (٤) . ( أدخلنا ما تدغم فيه ذال « اذ » وواضح أنها لا تنفرد إلا بالجيم )

الراء : تدغم في ل ( في القراءة فقط ) « من أظهر لكم » (٥) .

الزاي : تدغم ( في اللغة فقط ) في س ، ص : أوجز صابراً . وعنها في القراءات . قال في الإقناع : « ولا تدغم هي في غيرها » (٦) .

السين : تدغم في ز « وإذا النفوس زوجت » . احبس زردة . وتدغم ( في اللغة فقط ) في ص ، ( وفي القراءة فقط ) في ش « واشتعل الرأس شيباً » مع اختلاف قوى (٧) .

(١) الكتاب ٤/٢٥١ والإقناع ١/٢٠٩ والإتقان ١/٩٤ والآية من سنن آل عمران ١٨٥ .

(٢) الكتاب ٤/٤٥١ .

(٣) الكتاب ٤/٤٦٠ - ٤٦٦ والإتقان ١/٩٤ ، ٩٥ والآية من سنن الترمذي ١٤٤ .

(٤) الكتاب ٤/٤٦٠ - ٤٦٦ والإقناع ١/٢١٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ والإتقان ١/٩٤ ، ٩٥ والآية من سنن المائدة ٣٠ .

(٥) انظر الكتاب ٤/٤٤٨ وشرح المفصل ١/١٤٢ والإقناع ١/٢١٣ والإتقان ١/٩٤ والآية من سنن هود ٧٨ .

(٦) انظر الكتاب ٤/٤٦١ - ٤٦٢ ، ٤٦٤ - ٤٦٥ والإقناع ١/٢١٤ .

(٧) انظر الكتاب في الموضع السابق والإقناع ١/٢١٥ والإتقان ١/٩٥ والآية الأولى من التكمير ٧ ، والثانية من سنن مريم ٩ .

الشين : تدغم (في القراءة فقط) في س « إذا لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلا »  
وحدها (١) .

الضاد : تدغم (في اللغة فقط) في ز ، س . افحص زردة ، افحص  
سألا . وعنها في القراءات قال في الإقناع : « ولا تدغم في غيرها » (٢) .

الضاد : تدغم (في القراءة فقط) في ت ، ج ، ذ ، ز ، ش ، ظ « الذي  
أنقض ظهرك » (٣) . وتدغم في ط (في اللغة فقط) اطلع (٤) .

الطاء : (ذكر في الإقناع أنها تدغم في التاء مثل « أحطت بما لم تحط به »  
منغ بقاء الإطباق ثم ذكر أنهما والذال من يخرج واحد يدغم  
بعضهن في بعض . ولم يزد) أما في اللغة فهي تدغم في ت ، ث ،  
د ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ظ . ومن أمثلة سيبويه  
اضبط ضربة (٥) .

الطاء : تدغم (في اللغة فقط) في ت ، ث ، د ، ذ ، ز ، س ، ش ،  
ص ، ض ، ط . احفظ ثابنا . أما (في القراءة) فقد قال في  
الإقناع : « إن ما روى عن أبي عمرو من إدغام الطاء في التاء في  
« أو عظت » ليس مأخوذ به عند القراء ، وإن كان ناجزا » (٦) .

(١) انظر الكتاب ٤٤٨/٤ ، والإقناع ٢١٥/١ والآية من الإسراء ٤٢ .

(٢) انظر الكتاب ٤٦١/٤ والإقناع ٢١٦/١

(٣) انظر الإقناع ٢١٦/١ - ٢١٧ .

(٤) وضعوا الضاد ضمن الحروف التي لا تلغم في مقاربتها وتلغم مقاربتها فيها . (شرح  
المفصل ١٣٣/١٠ ، شرح الرضى الشافعية ٢٧٠/٣) مع علمهم أن سيبويه روى في اضطجر اضجر ،  
وق في مضطجع مضجع ومطجع (الكتاب ٤٦٨/٤ ، ٤٧٠ ، وشرح المفصل ١٤٠/١٠) ،  
والحالتان إدغام إلا أنه في اضطجر ومضجع غلبت الضاد كما غلبت الطاء في أحط (أي أحطت) .

(٥) انظر الإقناع ٢١٧/١ - ٢١٨ والكتاب ٤٦٠/٤ - ٤٦٦ ولم تذكر الطاء بإدغام  
في التيسير أو الإقناع .

(٦) انظر الكتاب ٤٦٠/٤ - ٤٦٣ والإقناع ٢١٨/١ واللفظ « أو عظت » من س  
الشراء ١٣٩ وليس لإدغام الطاء ذكر في التيسير أو الإقناع .

العين : تدغم ( في اللغة فقط ) في ح ، ه مثل اقطع حملا ، اقطع هلالا  
( يقلبان حاء ) . ( وفي القراءة ) روى إدغامها في غ « واسمع  
غير مسمع » (١) .

الغين : تدغم ( في اللغة فقط ) في الحاء . ادمغ خالدا . وروى إدغامها  
( في القراءة فقط ) في القاف « لاترغ قلوبنا » (٢) .

الفاء : تدغم ( في القراءة فقط ) في الباء — على اختلاف قوى — « إن  
نشأ نخسف بهم الأرض » . وقال في الإقناع : « جاء عن العرب  
إدغامها في الباء » (٣) .

القاف : تدغم في الكاف . « وقد خلقكم أطوارا » — الحق كلدة (٤) .

الكاف : تدغم في القاف . « ويجعل لك قصورا » — انهك قطنا (٥) .

اللام : تدغم في ر ، ن . ولام أل تدغم في ت ، ث ، د ، ذ ، ر ،  
ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ن . وجاء في القراءات  
أن لام هل ، بل تدغم في ت ، ث ، ز ، س ، ض ، ط ، ظ ،  
ن على تفاصيل في ذلك (٦) .

(١) الكتاب ٤/٤٤٩ ، ٤٥١ والإقناع ٢١٨/١ - ٢١٩ والآية من من النساء ٤٦  
وليس لإدغام العين في الغين ذكر في التيسير أو الإقناع .

(٢) الكتاب ٤/٤٥١ والإقناع ٢١٩/١ والآية من من آل عمران ٨ وليس لإدغام  
الغين في القاف ذكر في التيسير أو الإقناع .

(٣) ذكرت الفاء ضمن الحروف التي لا تدغم في مقارنها في الكتاب ٤/٤٤٧ وشرح  
المفصل ١٠/١٣٣ وشرح الرضى ٣/٢٧٠ ، وانظر لإدغامها التيسير ٤٤ والإقناع ١/٩٥  
وكلمة الإقناع فيه ١/٢٢٠ .

(٤) الكتاب ٤/٤٥٢ والتيسير ٢٣ والإقناع ٢/٢٢٠ - ٢٢١ والإقناع ١/٩٥ والآية  
من من نوح ١٤ .

(٥) الكتاب ٤/٤٥٢ والتيسير ٢٣ والإقناع ٢/٢٢٢ والآية من الفرقان ١٠ .

(٦) الكتاب ٤/٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ وانظر التيسير ٢٧ ، ٤٣ والإقناع ١/١٩١ -  
١٩٢ ، ٢٢٣ - ٢٢٧ ، ٢٤٢ .



- الميم : (تختفى مع الباء ، ولا تدغم في شيء) (١) .
- النون : تدغم في ر ، ل ، م ، و ، ي : من رأيت؟ « ومن يقل » (٢)
- المهاء : تدغم (في اللغة فقط) في الحاء والعين . اجبه حملاً ، اجبه عنية (مع قلبهما حاء) . ولم يذكر لها إدغام في كتب القراءات (٣) .
- الواو : تدغم في الياء (إذا كانت الواو ساكنة) نحو طوى ، شوى ، لوى .
- الياء : تدغم في الواو (إذا كانت الياء ساكنة وتقلب الواو ياء) نحو أيام (جمع يوم والأصل أيوام) ونحو سيدة (والأصل سيود) (٤) .



### (صبيغ افتعل وتفعل وتفاعل) .

هذه الصبيغ تستحق وقفة خاصة بالرغم من أن جزئيات الإدغام فيها تدخل كلها أوجدها في الصور الجامعة التي قدمناها ، وذلك لكثرة جرياناتها (٥) ، مما جعل تخفيفها أكثر ضرورة ، وأغلب تخفيفها بالإدغام . ثم إن الإدغام فيها في كلمة واحدة لا في كلمتين — كأكثر ما مثلنا له — فوجب عرض تخفيفها متكاملًا .

— صيغة افتعل : تتوسط التاء فيها بين فاء الكلمة وعينها كما نرى . ثم

(١) انظر الكتاب ٤/٤٤٧ ، والتيسير ٢٨ وفي الإقناع ١/١٧٧ — ١٨٢ مناقشة عو دغام الميم في الفاء .

(٢) انظر الكتاب ٤/٤٤٨ — ٤٥٣ ، والتيسير ٤٥ .

(٣) انظر الكتاب ٤/٤٤٩ — ٤٥١ ، والتيسير ٢٢ — ٢٩ ، ٤١ — ٤٥ والإقناع ١/٢٣٣ —

٢٣٤ .

(٤) انظر شرح المفصل ١٠/١٣٤ ، وشرح الرضى الشافعية ٣/٢٧٠ — ٢٧١

(٥) علل في شرح الرضى الشافعية ٣/٢٨٧ لوجوب تخفيف افتعل بكثرة استعمالها فيستعمل فيها أدنى ثقل .

قد تكون فاء الكلمة تاء أيضاً أو حرفاً مقارباً للتاء ، وقد تكون عين الكلمة تاء كذلك أو حرفاً مقارباً للتاء فهذه أربعة احتمالات ، والخامس ألا تكون فاء الكلمة التي على وزن افتعل ، ولا عينها تاء ولا حرفاً مقارباً للتاء مثل اقتعد . وهذا الاحتمال الخامس لا كلام لنا فيه .

( أ ) فإذا كانت فاء افتعل تاء ويجب إدغامها في تاء افتعل لأنهما مثلاًن التقياً وأولهما ساكن نحو اترك ، اترس (١) .

( ب ) وإذا كانت فاء افتعل حرفاً مقارباً للتاء ( د ط ، ث ذ ظ ، ز س ص ، ض ) جاز إدغامه في التاء : اذآن ، اطلب ، اثار / اترد ويجوز اثار / اترد ، اذكبر ويجوز اذكرو ، اظلم ويجوز اظلم ( قلبت تاء الافتعال فهما إلى دال وطاء لتناسبا الدال والطاء ، وجاز في الإدغام تغليب أيهما ) ، ازان ، اسمع ، اصبر ، اضجع أو اطمع . ثم إنه يجوز عدم التغيير في حالتي السين والثاء اثار ، استمع ، وأما في الأخريات فإما الإدغام وإما إبدال التاء حرفاً يناسب الفاء ( إلى الطاء مع حروف الإطباق ، وإلى الدال مع غيرها ) اذكرو ، اظلم ، ازدان ، اصطر ، اضطجع (٢) .

( ج ) وإذا كانت عين افتعل تاء جاز الإدغام وتركه ، فإذا أدغمت فإما أن تنقل حركة أولهما إلى فاء الكلمة فتفتح ككتب (من اكتب) وإما أن تكسر للتخلص من التقاء الساكنين ككتب : والمضارع يكتب أو يكتب . وكذلك في الأمر والمشتقات القياسية (٣) .

( د ) وإذا كانت عين افتعل حرفاً مقارباً ( التسعة المذكورة في ب ) جاز إدغام التاء فيها أيضاً فيقال هدى ( اهتدى ) ، رطم ( ارتطم ) .

(١) شرح الرضي الشافعية ٢/ ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) نفسه ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٣) القاعدة من السابق ص ٢٨٢ - ٢٨٥ ويجوز المضارع بكسر خروف المضارعة أيضاً .

عَشْرٌ ، عَذْرٌ ، عَظْلٌ ، رَزَقٌ ، قَسْرٌ ، نَحْصٌ ، نَحْضَرٌ (١) .  
وقد مضى ذكر نتف من هذا ، وآثرنا ذكره هنا متكاملًا .

— صيغتا تَفَعَّلٌ وتفاعُلٌ تتصدر التاء فيهما قبل فاء الكلمة فالاختلافات  
لاتعدو اثنين : أن تكون فاء الكلمة تاء ، أو حرفاً مقارباً للتاء . والحكم  
فيهما واحد ( وهو جواز الإدغام ) .

فإن كانت الفاء في هذه الصيغ تاء أو حرفاً مقارباً للتاء ( التسعة المذكورة  
آنفاً ويضاف إليها الشين والجيم ) جاز الإدغام فيقال في تتبع وتتابع اتَّبَعَ  
واتَّابَعَ ، اطَّيَّرَ ، اطَّاولَ ، ادَّيَّرَ ، ادَّارَأَ ، اثَّيَّبَتَ ، اثَّاقَلَ ، اذَّكَّرَ ،  
اذاكروا ، اظَّلَّمْ ، اظَّالموا ، ازيَّنْ ، ازاحموا ، اسَّمْعْ ، اسَّاقطْ ،  
اضَّرِعْ ، اضَّاربوا ، اجَّيِّرْ ، اجَّاعروا ، اشَّبِعْ ، اشَّاجروا وهكذا (٢) .

قال الرضى : « وهذا الإدغام مطرد في الماضي ، والمضارع ، والأمر ،  
والمصدر ، واسمى الفاعل والمفعول » اهـ أقول وهناك المصدر الميمي ،  
واسما الزمان والمكان أيضاً : وإدغام المثانين في هاتين الصيغتين قد ذكر  
من قبل وأعيد هنا لتكامل ما يخص الصيغتين في هذا المجال .

~~~~~

لعله من حقنا الآن أن نقول إن العربية أخذت بهذه الوسيلة للتخفيف —  
أعني وسيلة الإدغام — أوسع أخذ : فقد عرضنا — قبل الكلام الأخير عن  
الصيغ — لإدغام المثانين ثم لإدغام المتقاربين في حروف البناء العربية كلها ،

(١) شرح الرضى الشافية ٢٨٥/٣ — ٢٨٦ وقد ذكر هذا الإدغام متحفظاً قال: لم تقدم  
التاء فيه ( يعنى ما في الصورة الأخيرة « د » ) ثم ذكر أن القياس لا يمنع وذكر الأمثلة لكن  
غير مدغمة . وأرى أن تحفظه في غير موضعه فقد جاءت هدى وعذر ونحصر في القرآن الكريم  
(س يونس ٣٥ والتوبة ٩٠ ويس ٤٩ على التوالي) وقد بينا في إدغام المتقاربين أن التاء  
تدغم في هذه الحروف جميعها وفي الشين والجيم زيادة على ذلك .

(٢) انظر شرح الرضى الشافية ٢٩١/٣ — وقد زدت بعض الأمثلة وقد قال في ٢٣٩/٢ —  
« فلما ذو زيادة الرباعى ( يعنى مثل تلحرج ) فلا يخفف بالإدغام إذ لو أدغمت لا حجت  
إلى همزة الوصل فيؤدى إلى الثقل عند القصد إلى التخفيف . . ويجوز حذف إحداهما يعنى  
التامين » . وهذا الإدغام الذى منه واقع وجار جداً على ألسنة العامة .



ويتبين من كسرة نظر على ما فيها أنه ليس هناك من حروف العربية مالا يدغم في مثله إلا حروف المد - وهي أخف الحروف نسبياً (١) ، ولا ينقلها إلى الثقل إلا أن تحرك فلا تعود حروف مد ، أو أن يسبق أى منها أو يتلى بما يضاده منها أو من الحركات - ومادامت هي الأخف فليست هناك من حاجة إلى تخفيفها بالإدغام .

كذلك يتبين أنه ليس هناك مالا يدغم في مقاربه إلا حروف المد والهمزة والميم (٢) . وقد عرفنا خفة حروف المد . والميم مثلها أو ثقلها في الخفة (٣) ، والهمزة ثقيلة ولكنها تخفف بأكثر من وسيلة (٤) ، فلا حاجة بها إلى وسيلة الإدغام .

- وبكسرة نظر أخرى إلى كمّ حالات جواز إدغام صائر الحروف - أعني ماعدا الهمزة والألف والميم ، مع إدخال الواو والياء غير المديتين - في مقارباتها ، يتبين أن هذه الحالات بلغت ١١٨ ثمانى عشرة ومئة حالة ، إذا وزعناها (رياضياً) نجد أن كل حرف يمكن أن يدغم في أربعة أحرف أو أكثر . وهذه نسبة كبيرة جداً ، لأن الاحتمالات النظرية الرياضية لكل حرف منها هي أن يليه واحد من سبعة وعشرين حرفاً ، فإذا كان يمكن الإدغام في أربعة منها كان هذا (  $\frac{1}{4}$  ) مسيع حالات التركيب . فإذا أخذنا في الحسبان أن تلك الاحتمالات النظرية لا تكاد

(١) هي مجرد صوت يمتد في تجويف الجهاز الصوتي مع تدخل يسير من اللسان والشفيتين أقواء مع الواو ثم الياء ثم الألف .

(٢) الحروف التي لا تدغم في مقارباتها جمعها الزمخشرى وابن الحاجب في (ضوى مشفر) وأخرج شارحهما الواو والياء غير المديتين (شرح المفصل ١٠/١٢٢ وشرح الرضى الشافعية ٢٦٩/٣ - ٢٧٠) ولكنى اعتمدت في ما قلته على أن إدغام الراء والشين في مقارباتهما وقع فعلا في القراءة وإدغام الضاد في مقارباتها وقع فعلا في القراءة واللغة كما أسلفت في عرض إدغام الحروف في مقارباتها .

(٣) تم بالتقاء الشفتين أخف التقاء ، ومروء الصوت مع التنف من الأنف - وهي من أخف حروف اللاقة .

(٤) بين بين ، والإبدال ، والحدف .

تنطبق بكاملها إلا في حروف نادرة ، وأن متوسط حالات النوال بين أي حرف وسائر الحروف لا يكاد يتجاوز العشرين ، ظهرت قيمة الإدغام في حالة الحروف المقاربة أكثر ، إذ تبلغ نحو (  $\frac{1}{3}$  ) خمس حالات النوال أي ٢٠٪ عشرون بالمئة ، وهي نسبة ذات دلالة جد واضحة على الميل إلى التخفيف وتحقيقه في العربية .

— ويبقى أن أنبه إلى أن حالات الإدغام بين المقاربات التي أسلفناها ، وإن كان معظمها جوازياً — وهذا أدل ، فإنها مقبنة غير متروكة لأهواء الناطقين ، وقد رأينا أن أكثرها مجمع عليه من اللغويين والقراء ، وأسلفنا أن ما انفرد به القراء لا بد أن يكون له أساس صحيح في اللغة ، لأن هذا ضابطهم .

### ( ثالثاً ) — التخفيف بالحذف :

والمقصود هو حذف حرف أو أكثر من بعض الكلم تخفيفاً . وفي العربية من هذا ما هو مطرد وما هو كثير .

١ — حذف همزة صيغة ( أفعل ) الفعلية من المضارع والمشتقات القياسية . وصوغ المضارع في العربية يتم بزيادة حرف المضارعة قبل الماضي مع تغير في الحركات . وفي صيغة أفعل تحذف الهمزة أيضاً فيقال في مضارع أحسن : يُحَسِّنُ لا يُؤَحِّسِنُ (١) . وهذا تخفيف واضح أساسه التخلص من اجتماع الهمزتين عند إسناد المضارع إلى ضمير المتكلم في نحو أُؤَحِّسِنُ ، ثم حملوا سائر حالات الإسناد على هذه طرد للباب . وتتضاعف قيمة هذا التخفيف إذا تذكرنا أن صيغة ( أفعل ) هذه صيغة شائعة جداً في اللغة لا يكاد تخلو منها تركيب ، وأن الحذف جار في المشتقات القياسية منها : أسماء الفاعل والمفعول والزمان والمكان ، وفي المصدر الميمي . وهذا الحذف قياسي واجب (١) :

(١) انظر القواعد والتطبيقات شباة ١٤٠ .

٢ — حذف إحدى التاءين من مضارع صبيغ تفعل وتفاعل وتفعّل  
عندما يكون حرف المضارعة تاء (١) . وذلك في حالة إسناده إلى المخاطب :  
مفرداً أو مثنى أو جمعاً ، مذكراً أو مؤنثاً ، وكذلك عند إسناده إلى الغائبة  
أو الغائبتين — أى في ثمانى حالات في كل من الصبيغ . وقد أسلفنا أن تكرار  
الحرف يثقل عليهم ، ولا شك أن عبارة « هى تقدّم » مثلاً أخف من  
« هى تقدّم » . وهذا الحذف قياسى جائز .

٣ — حذف فاء المثال . إذا كان الفعل ثلاثياً مجرداً واوى الفاء  
حذفت فاءه من أمثلة المضارع أيا كان حرف المضارعة أى في حالات  
الإسناد الأربع عشرة ، ومن الأمر ، ومن المصدر المكسور الفاء . فتقول  
في وعد يعد ، عد ، عدة . وهذا الحذف قياسى واجب بشروطه (٧) •  
ولا شك أن يعد أخف من يؤعد حيث يجتمع الواو والياء . فيخلص من  
اجتماعهما ، ويقتصد في الجهد . وحملت الحالات الأخرى على ما اجتمعت  
فيه الواو والياء .

٤ — حذف عين المضعف . تحذف عين الماضى المضعف — إذا  
كان ثلاثياً مجرداً مكسور العين — عند إسناده إلى ضمير الرفع المتحرك ،  
وذلك مع نقل حركة عينه إلى الفاء ومع عدم النقل (٣) . وذلك الحذف  
قياسى جائز فتقول ظليست أكتب ، أو ظليست أو ظلت — وذلك الحذف  
للتخفيف من ثقل توالى مثلين وقد علمنا أنهم يستقبلون التضعيف ، فحذف  
أحد المثلين فيه تخفيف باقتصاد الجهد . ثم إن المضارع والأمر من الماضى  
الذى انطبقت عليه شروط جواز الحذف يجوز حذف العين (٤) منهما

(١) القاعدة من شرح الرضى الشافى ٢/٢٢٩ — ٢٤٠ ، ٢٩٠ . . . . .

(٢) القاعدة من القواعد والتطبيقات ١٤٢ — ١٤٥ . . . . .

(٣) انظر السابق ١٤٦ — ١٤٨ . . . . .

(٤) بشرط أن تكون مكسورة في المضارع — والأمر تبع له . أما المضارع المفتوح  
الصيغة أو المضمومة من المضعف في الحذف منه خلاف قوى . انظر القواعد والتطبيقات



أيضاً — مع نقل حركتها إلى فاء الكامة — عند الإسناد إلى نون النسوة فتقول يقررن ، اقررن أو يقررن ، قرن . وهناك صور أخرى من الحذف للتخلص من ثقل توالي الأمثال (١) .

ه — الحذف لالتقاء الساكنين . من مقررات العربية أن العرب لا يجيزون التقاء الساكنين في كلامهم إلا في حالات محدودة مستثناة . قال سيبويه : « لم يكن ليلتي ساكنان » (٢) وذلك لثقل النطق بساكنين متتابعين عليهم أشد الثقل . فإذا أدى تركيب الكلام إلى التقاء ساكنين في كلمة أو كلمتين ، فإنهم يتخلصون من ذلك تخفيفاً بحذف أحدهما أو تحريكه . وهذه أشهر حالات الحذف :

(١) الأفعال التي على صيغ فَعَلَ وفَعِلَ وأَفْعَلَ وافتعل وانفعل واستفعل — وهي معتلة العين (٣) مثل قال ، باع ، خاف ، أقام ، ابتاع ، انقاد ، استعان — ومضارعها وأمرها — بحذف حرف العلة من كل منها (حرف العلة هنا يعد ساكناً إذا كان حرف مد) إذا سكن آخرها أيضاً بسبب إسنادها إلى أى من ضمائر الرفع المتحركة — وهي أربعة ضمائر لثلاث حالات (٤) إسناد ، أوبسبب جزم المضارع ، أوبناء الأمر على السكون — وذلك تخفيفاً من التقاء الساكنين فيقال : قلت ، بعث ، خفت ، أقت الخ ويقال : يقلن ويبعن ويبتعن ويقمن الخ ، ويقال : قلن وبعن وأقمن . . . وانقلدن واستعن . ( هذه أدغمت فيها النون في النون ) . وهذا الحذف قياسي واجب ، والأخذ به أخف قطعاً من أن يقال « قولتُ بيعتُ الخ » وهذا التخفيف يتناول جانباً كبيراً من اللغة لأن هذه الصيغ هي أكثر من نصف

(١) انظر الأشياء والنظائر ( طه سعد ) ٢٤/١ ، ٢٦ .

(٢) « الكتاب » ١٦٢/٤ .

(٣) المقصود كون عينها أحد حروف العلة مع كون هذا الحرف ملاً أيضاً أي لا مصححاً مثل عور واستحوذ .

(٤) هي تاء المتكلم ونا المتكلمين وتاء المخاطب ونون النسوة . وتاء المخاطب تكون للمفرد والجمع مذكراً ومؤنثاً ، وتكون للمثنى .

الصيغ الجازية (١) ، ولأن الحذف يقع أيضاً في المضارع والأمر المستندين إلى نون النسوة منها ، ولأن حالات الإسناد التي يقع فيها الحذف هنا هي أغلب حالات الإسناد إلى الضمائر ( إذ لم يبق إلا الإسناد إلى الضمائر الساكنة وهي ثلاثة لخمس حالات ) (٢) .

( ب ) الأفعال المعتلة اللام من أية صيغة من الصيغ الفعلية ( وهي أربعون صيغة ) (٣) - في الماضي أو المضارع أو الأمر - تحذف لامها إذا أسندت إلى واو الجماعة أو ياء المؤنثة المخاطبة (٤) ؛ تخلصاً من النقاء اللام المعتلة ( ومادامت مدأ فهي ساكنة هنا كما أسلفنا ) مع أى من الضميرين المذكورين ( وهما ساكنان أيضاً ) . فيقال في رضى ورمى ودعا وأرضى وانتهى وانجلى واستعلى ونادى وزكى وتنادى وتزكى واذلولى الخ رضوا ورموا ودعوا وأرضوا الخ وهم يرضون ويرمؤون ويدعون ويَرْضُونَ الخ وأنت ترضين وترمين وتدعين وترضين . . . وتذلولين . وتقول لهم ارضوا وارموا وادعوا ، وتقول لها ارضى وارمى وادعى وأرضى . . . واذلولى ، وهذا الحذف قياسى واجب والأخذ به أخف قطعاً من أن يقال رضوا ، رموا ، دعوا أو أنتم ترضون أو تدعون أو أنت ترضين الخ : لتجنب الحركات الثقيلة وللإقتصاد في الجهد ، وهو يتناول تخفيف جانب كبير جداً من ألفاظ اللغة لأنه يمكن أن يدخل أياً من الصيغ الفعلية كلها - في الماضي والمضارع والأمر ، وذلك عندما تكون لامها معتلة وتسند إلى أى من الضميرين المذكورين .

( ج ) ومن حذف لام الكلمة لالتقاء الساكنين . جزم المضارع المعتل

(١) لم يبق من الصيغ الكثيرة الاستعمال إلا فاعل ، وفعل ، وتفاعل .

(٢) قاعدة هذا الحذف في القواعد والتطبيقات ١٥٠ - ١٥١ والتفاصيل من الخبرة .

(٣) انظر مثلاً الاستدراك للزبيدي ٣٨ - ٤٠ .

(٤) القاعدة في القواعد والتطبيقات ١٥٠ والتفاصيل من الخبرة .

الآخر — وبناء الأمر غنه — بحذف حرف العلة مثل لم يسع ولم يدع ولم يرم ، واسع وادع وارم .

( د ) من أهم مواضع حذف أحد الساكنين الأخرى وجود مد في آخر كلمة ومكون في أول الكلمة التالية لها فيحذف المد من آخر الأولى مثل دعا العبد ربه ويدعو العبد ربه ، وهو بينى الخير ، نالوا الفضل ، أطيعا الأب ، أطيعي الزوج . ( والحذف هنا من اللفظ لا الخط ) . ومن ذلك حذف لام المقصور والمنقوص إذا نوتا ولم يكن المنقوص منصوباً نحو هذه عصا وهذا فتي هاد ( والحذف في المقصور لفظي ) . وكذلك حذف تنوين العلم الموصوفه بابين مضافاً إلى علم نحو هذا خالد بن علي (١) .

٦ — حذف لام كثير من الأسماء التي لامها واو أو ياء أو هاء أو حاء — لتخفيفها . قال أبو الهيثم : « العرب تستثقل وقوفاً على الحاء والهاء والواو والياء ( يعني تستثقل وقوع هذه الحروف لامات لأسماء فتكون عرضة للوقوف عليها ) إذا سكن ما قبلها ، فتحذف هذه الحروف ، وتبقى الاسم على حرفين ، كما حذفوا الواو من أب وأخ وغد وهن ، والياء من يد ودم ، والحاء من حر ، والهاء من فوه وشفة وشاة ( أصلهما شفة وشوهة ) . فلما حذفوا الهاء من فوه بقيت الواو ساكنة فاستثقلوا وقوفاً عليها فحذفوها ، فبقى الاسم فاء وحدها ، فوصلوها بميم ، ليصير حرفين : حرف يبتدأ به فيحرك ، وحرف يسكت عليه فيسكن ، وإنما خصوا الميم بالزيادة ( هنا ، لأنها في مكان الواو — وهي شفوية ) والميم من حروف الشفتين ينطبقان بها (٢) اهـ وكان حقه أن يذكر الحم في استعماله بالحذف : معرباً بالحركات الظاهرة على الميم ، وكالأسماء الخمسة .

— ويمكن أن نضيف إلى ما هنا — مما حذف لامه تخفيفاً كالذي ذكره

(١) قواعد هذه الحالات في القواعد والتطبيقات ١٥١ — ١٥٢ .

(٢) لسانه العربية (فوه) .



أبو الهيثم — منع التغويض عن المحذوف بما هو أخف : الزنة  
والفته والمثة ، والقبة ( الفحث : ذات الأطباق من الكرشن ) ، والعزة  
( العصبه من الناس ) ، والعضة ( الفرقة من الناس والقطعة من الشيء ) ،  
واللثة ، والقضبة ( نبتة سهلية ) ، والقدة ( حية ) ، والجية ( كراهة بلد  
أو بيعة ) ، والقدة ( أيضاً ) القدوة ، والجظة ( الخطوة ) — وكل أولئك  
الكلمات بكسر ففتح . والثبة ( الجماعة من الناس ) ، والدجة ( الزر ) ،  
والذرة ( الحب المعروف ) ، والكرة ، والبرة ( الخلخال ) ، واللغة ،  
والدغة ( دويبة ) ، والرفة ( الثين ) ، وحمة العقرب والزنبور ( سمهما  
وضرهما ) ، والقيلة ( خشبة تنصب وتضرب بأخرى لعباً ) (١) .  
وكل هذه الكلمات بضم ففتح . ومن هذا القبيل أيضاً كلمات متناثرة  
اسم ، وابن ، واست ، وسنة .

— وقد ذكر أبو الهيثم جانباً من وجه الحقة في هذا الحذف ، وهو ثقل  
الوقوف على هذه الحروف لأنها ضعيفة خفية تحتاج إلى مزيد ضغط  
عليها عند الوقف حتى تظهر . وهناك جانب آخر هو ثقل الحركات  
على الواو والياء عند الوصل . وكل ما أضفناه آخرة المحذوف واو  
أوياء (٢) ما عدا الكلمتين الأخيرتين فإن آخرهما المحذوف هاء (٣) ،

فهذه طائفة صالحة من الألفاظ التي خففت بالحذف : وقيمتها أنها  
تربينا جانباً من منهج العرب في هذا التخفيف ، إذ لاشك أن هناك المزيد  
من هذا النوع .

٧ — وهناك أيضاً الترخيم في النداء حيث تحذف في نداء الترخيم تاء  
التأنيث من المختوم بها ، والحرف الأخير مما جاوز حد الثلاثة كياخال  
ويانزا ويأيزي ويأخفا ( خالد / نزار / يزيد / خفاف ) : فإن تضمن  
مجاوز الثلاثة خمسة أحرف فأكثر حذف أيضاً ما قبل الآخر من حرف مد

(١) انظر لسان العرب ، وتاج العروس في تراكم هذه الألفاظ .

(٢) كلها واوية ما عدا المثة والزنة والقدة ( الحية ) والجية .

(٣) على الرأي الراجح .

زائد فيقال في عمران ، وحجاد ، وحمدون ، ومنصور ، ومسكين ( يا عمر ، حم ، حمد ، منص ، مسك ) . على تفاصيل أخرى (١) .

٨ - وهناك تصغير الترخيم ويكون بتجريد الاسم المراد تصغيره من الزوائد ثم تصغيره بعد ذلك فيقال في تصغير حامد ، حمدان ، حماد ، محمود ، أحمد : حميد . ويقال في تصغير سوداء سويدة ، وفي تصغير أسود سويد . وفي تصغير جعفر جعيفر لأنه لا زوائد فيه (٢) .

٩ - وأخيراً هناك مشورات من الحذف التخفيفي :

( ١ ) كحذف فاء الأفعال أخذ وأكل وأمر (وهي الهمزة) عند صوغ الأمر منها فيقال خذ وكل ومر (٣) في البدء والدرج على السواء إلا أن الأفضح في الأمر من « أمر » عند الدرج عدم الحذف مثل « وأمر بالمعروف » ، وكذلك الحال في حذف عين الأمر من سأل يقال في البدء سل ، والأكثر في الدرج الإثبات « وأسأل القرية » (٤) ، أما عين رأى فتحذف في المضارع والأمر على السواء يرى ، ره : فإذا عديت رأى بالهمزة حذفت عنها من الماضي والمضارع والأمر وسائر التصرفات (٥) فيقال هو أراه اتباع الحق رشداً . واللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه .

( ب ) يجوز حذف النون من « من » ، عن « عند الألف واللام لالتقاء الساكنين » ، وحذفها من « من » أكثر من حذفها من « عن » لأن دخول « من » في الكلام أكثر من دخول « عن » . فيقال م الكذب وم الآن (٦) . وقد حذفوا من « على » أيضاً فقالوا « علماء بنو

(١) انظر باب الترخيم في شرح الكافية الشافية لابن مالك ١٣٥٠ - ١٣٧٢ ( مجلد ٣ )

مثلاً .

(٢) انظر السابق ١٩٢٦ - ١٩٢٧ ( مجلد ٤ ) مثلاً .

(٣) انظر السابق ٢١٦٦ . (٤) انظر لسان العرب (سأل) .

(٥) انظر الصحاح واللسان ( رأى ) .

(٦) لسان العرب ( من ) آخر التركيب .

فلان ، يريدون على الماء بنو فلان (١) : وحذفوا الألف من ما الاستفهامية إذا دخلت عليها حروف الجر فيقال : علامه ، وفيمه ، ولمه ، ومعه ، وحتامه ؟ والهاء للوقف . وقد يقال فيم وعلام الخ في الوقف . وكذلك إذا أضيفت نحو مجيء م جئت . ومثل م أنت . إلا أن هذه لا يوقف عليها إلا بالهاء : مجيء م (٢) ؟

#### (رابعاً) - التخفيف بالزيادة :

تتخذ العربية شتى الوسائل لتخفيف الأداء اللغوي سواء أكانت تلك الوسائل حذفاً ، أم إيدالاً ، أم مضارعة بمختلف مستوياتها ، أم زيادة . وقد مر بنا كل ذلك ما عدا الزيادة للتخفيف ، وهي تتمثل في همزة الوصل ، وهاء السكت ( أى تخفيف بدء نطق الكلام ، ونهاية هذا النطق ) .

#### (همزة الوصل) :

من قواعد العربية العامة أنه لا يبدأ بساكن (٣) . وبصرف النظر عن الخلاف النظري في اختصاص العربية بامتناع البدء بالساكن ، أو عموم ذلك في اللغات الأخرى أيضاً (٤) ، فإن ملاحظة ما يعانيه العربي الذي يحاول تعلم لغة أجنبية لينطق بكلمة مبدوءة بساكن أو ساكنين ، وكيف يتكلم لذلك على همزة مكسورة يأتي بها من عند نفسه ليستعين على نطق المبدوء بساكن ، وأنه لا يتخلص من هذه التكة إلا بعد طول مران . . إن ملاحظة ذلك تكفي لإثبات صعوبة الابتداء بالساكن وثقله ، وهذا الذي لاحظناه هو الذي دفع بعض الأئمة إلى القول بأن البدء بالساكن متعذر أى مستحيل (٥) ، وأن ذلك عام في كل اللغات ، وليس خاصاً بالعربية .

- 
- (١) انظر الكتاب ٤/٤٨٥ . (٢) انظر الكتاب ٤/١٦٤ - ١٦٥ .  
 (٣) انظر الكتاب ٤/١٤٤ والمصانص ٢/٣٢٨ ، ١/٩١ وشرح الرضى الشافعية ٢/٢٥٠ - ٢٥١ .  
 (٤) انظر المصانص ١/٩٥ - ٩١ ، شرح المفصل ٩/١٣١ ، شرح الرضى الشافعية ٢/٢٥٠ - ٢٥١ .  
 (٥) كابن يعيش في شرح المفصل ٩/١٣١ إذ قال : إنما هو ( أى امتناع البدء بالساكن )



وأيا ما كان، فالثقل موجود حقيقة - عند العرب على الأقل - ولذلك تجنبوا أن يندعوا أبنيهم بحروف ساكنة إلا في حالات محدودة ، لضرورة استيفاء تصرف الفعل الثلاثي ، واستيفاء صيغ غيره ، وذلك بالإضافة إلى عشرة أسماء ، وحرف واحد . فلما انتشروا ثقل البدء بالساكن في تلك الحالات المحدودة أضافوا ضغطة النفس التي يقتضيها تمكين البدء بالساكن ساكناً في صورة همزة وصل ( يتوصل بها إلى النطق بالساكن ) وذلك تيسيراً للنطق - حتى لا يسلب الناطقون إلى ما يثقل عليهم من البدء بالساكن ، وتشريعاً لهذا التيسير ، وضبطاً لحقيقة النطق . وهذه هي حالات البدء بالساكن ، التي خففت بهمزة الوصل :

١ - صيغة الأمر من الأفعال الثلاثية ( غير الجوف أو المضعفة ) ، لأن الأمر يقطع من المضارع بحذف حرف المضارعة ، فإذا حذف هذا بقيت فاء الفعل ساكنة ، فاجتلبوا همزة الوصل للاعتماد عليها (١) ، مثل انصر ، اسمع ، اضرب .

٢ - خمس عشرة صيغة فعلية مزیدة أدى إدخال الزوائد فيها إلى البدء بالساكن فاجتلبوا همزة الوصل للاعتماد عليها في بدء نطقها نحو افتتح وانطلق واحمر واستخرج . (٢) وكذلك الأمر والمصدر من تلك الصيغ مثل افتتح وانطلق وافتتاح وانطلاق .

٣ - عشرة أسماء أكثرها حذفت لامها ووضعت في صيغة سكن أولها

من قبيل الضرورة وعدم الإمكان ثم قال : « إذ النطق بالساكن متعذر » ( ص ١٢٢ ) . وقاله الرضى في شرح الشافية ٢/ ٢٥١ : « الأكثرون على أن الابتداء بالساكن متعذر » ثم قاله والظاهر أنه مستحيل ولا بد من الابتداء بحرك .

(١) انظر شرح المفصل ٩/ ١٣٦ . وجلل إسكان ما بعد حرف المضارعة بمنج . توالى أربع حركات وأنه الوحيد الذي يصلح إسكانه .

(٢) في الكتاب ٤/ ٤٤٤ - ٤٤٥ عشر صيغ وسائرهما في الاستدراك للزبيدي ٣٩ - ٤٠ . وبالقها أحمر ، اعشوشب ، اجلوذ ، اهيخ ، اعشوجج ، احوفصل ، اقنفس ، اخر فخر ، اخر فخر ، الخمر ، الخمر . وقد علق لإسكان أولها في شرح المفصل ٩/ ٢٥٥ .

فاجتلبت لها همزة . وهي ابن واثنان وامرؤ وموثثاتها واست واسم  
وايمن الله وايم الله (١) .

~~~~~

ثم كان من أحكام العربية أن تحذف همزة الوصل هذه من النطق إن  
وقعت في غير بدته - استغناء عنها - إن كان ما قبلها متحركاً نحو له اسمع  
وانتبه ، لابنك حق ، وتخلصاً من التقاء الساكنين إن كان ما قبلها ساكناً  
نحو أحبوا العلم وابغوا ازدياده يأتكم الخبر . فهي وسيلة تخفيف في مجيئها  
وحذفها .

#### (هاء الوقف) :

الوقف - أي السكوت بعد نطق شيء من الكلام - موضع استراحة (٢) ،  
إذ يكون عادة لنفاد النفس أو قرب نقاده . وأكثر ما يوافق هذه الحالة  
من أصوات الكلام هو الهاء ، لأنها «نَفَس» (٣) فحسب . والمتكلم  
يحتاج - عند الوقف - أن يخرج ما بقي من نَفَسه قبل أن يستمد هواء  
جديداً ، فإذا أخرج هذا الباقي من نَفَسه في صورة هاء ساكنة يكون قد  
حقق حاجته الضرورية مع تحقيق غايات لغوية بهذه الهاء .

ومن أهم هذه الغايات اللغوية لزيادة هاء السكت بيان حركة الموقوف  
عليه (٤) - أي مع الراحة المتمثلة في ترك التحرز والتحفظ البالغين إذا  
أريد بيان الحركة بدون الهاء .

- ثم إن هذه الهاء تزداد جوازاً عند الوقف على المتحرك من المبنيات العريضة  
في البناء :

---

(١) انظر شرح المفصل ١٣١/٩ وسائرهابنة ، ابنم ، اثنان ، امرأة .

(٢) انظر مثلاً شرح الرضى الشافعية ٣٠٠/٢ .

(٣) قال الخليل عن الهاء: وإنما هي نفس لإعتياد فيها ، ألعين (درويش) ٦١/١ .

(٤) انظر شرح المفصل ٤٥/٩ .

- ( ا ) كالحروف إنَّه ، لكنَّه ، لئِنَّه ، لعلَّه ، ثُمَّه الخ .  
( ب ) والضماثر هو هـ ، هيه ، هُنَّبه ، ضربتكه ، اكتبته ، غلاميه الخ .  
( ح ) أَسْمَاء الاستفهام كيفه ؟ أينهُ ؟  
( د ) ما حذف آخره من الأفعال المعتلة الآخر للجزم أو للبناء لم  
ينحشه ، لم يدعه ، لم يرمه . وكذلك انحشه ، ادعه ، ارمه .  
— فإذا بقي الفعل من هذا النوع على حرف واحد وجبت زيادة هذه الهاء  
نحو لم يقه ، لم يعه ، قه ، عه .

— كما تزداد جوازاً في آخر المنتهى بحرف مد من المبنيات :

- ( ا ) كأَسْمَاء الإشارة ذاه ، هُناه ، هؤلاه .  
( ب ) وكمدَّ الندبة وازيداه ، واغلامهوه ، وا انقطاع ظهريه .  
( ح ) وعند حذف ألف ما الاستفهامية عندما تكون مضافاً إليها اسم مثل  
مجيء مه ؟ مثل مه ؟ . والهاء في هذه لازمة لأن المضاف هنا صالح  
للاستقلال ، وعندما تكون مجرورة مثل إلامه ؟ علامه ؟  
حنامه ؟ فيمه ؟ له ؟ وإلحاق الهاء هنا بجائز فحسب .  
— وتمتنع هاء السكت بعد حركة الإعراب ، والبناء المشابه للإعراب  
كالفعل الماضي والمنادي واسم لا المبنيين ( ا ) .



## الصورة الخامسة لحسن التأليف حسن تأليف الحركات

والمقصود هنا هو الحركات القصيرة . الفتحة والضمة والكسرة مع التنسيق بينها وبين السكون . وقد أسلفنا أن مراعاة الخفة في نظام الحركات والسكنات في العربية قد ذكرها الفارابي وابن سنان على أنها من خصائص العربية (١) ، وأن ابن فارس قد ذكر من هذه الخصائص منهم الجميع بين الساكنين (٢) . وسنفصل أكثر ذلك بعض التفصيل «

١ — منع توالي الحركات . مما التزمه العرب في بناء لغتهم أن يراوخوا بين الحركات والسكنات في بناء الألفاظ ، « فبنوا كلامهم على متحرك وساكن ومتحركين وساكنين ، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشوييت ، ولا بين أربعة أحرف متحركة » (٣) قال سيبويه : « ليس حرف (يعني كلمة) في الكلام تتوالى فيه أربع متحركات » (٤) وقد ذكر « يويوه بعض الكلمات التي بدا أنه توالى فيها أربع متحركات مثل عُلِيط وعُجَاط وعُكَلِيط ودُودَم وبين أنها كلها جاءت أيضاً على وزن فعال ثم حذفت منها الألف ، ومثلها جَسَدِل حذفت منها ألف الجنادل وأما عَرَنُتْن وعَرَقُصَان فقد حذفت منهما النون ، وكانتا عَرَنُتْن ، وعَرَنُتْصَان (٥) .

- (١) انظر ديوان الأدب ٧٢/١ وسم الفصاحة ٥٠ .
  - (٢) انظر الصاحبى (صقر) ٢٠ .
  - (٣) هذا كلام قطرب . انظر الإيضاح في علل النحو للزجاجى ٧١ .
  - (٤) الكتاب (هارون) ٢٨٩/٤ .
  - (٥) انظر الموضع السابق . وكلمة عُلِيط وأختاها معانم البن الحائر ، والدودَم شيء .
- كلام يخرج من السر ، والعرتن والعرقصان نباتان . والجنادل الأرض فيها حجارة .

( م ٨ — خصائص اللغة العربية )

وهناك كلمات أخرى من هذا الباب الهدبْدبُ والعثْلط (هما اللين الخائر) والحُسْنُشِر (الشيء الحسيس) والدلص والدلنز (البراق) والزُمْلُق (من يريق قبل أن يفضى) والحُدْلَقَة (العين) وكأها بضم ففتح فكسر محذوفة من فَعَالٍ. وكلمات هذا الباب في اللغة كلها قد لا تزيد عن عشرين وكلها وصل إلى هذه الصورة بحذف حرف مد أو غيره على ما سبق.

- ولا شك أن توالي أربع حركات فيه ثقل من إطالة الكلمة (لأن الحركة صوت بحسب حرفاً أيضاً) فكأن الكلمة حينئذ مكونة من ثمانية حروف، ثم إن الكلمة حينئذ تكون مكونة من أربعة مقاطع متساوية النوع والطول وهذا فيه رتابة وثقل من حيث إن الحركة الطويلة (حرف المد) يريح أكثر من الحركة القصيرة لأنه ليس فيها من الحجر مثل ما في القصيرة.

- وقد بلغ من حرص العرب على تجنب ثقل توالي الحركات الأربع هذا في الكلمة الواحدة، تجنبهم إياه في ما هو كالكلمة الواحدة، كما يقع عند إسناد الفعل الصحيح إلى ضمير الرفع المتحرك مثل ملكْتُ، إذ يسكنون آخر الفعل حينئذ. وهذه مقولة مشهورة (١).

- والخلاصة أن هذا النوع من تخفيف الحركات يمنع توالي أربع منها في كلمة واحدة ملتزم ومتحقق في اللغة تماماً.

## ٢ - منع التقاء الساكنين .

وهذا أيضاً من المقولات المقررة في العربية. قال سيبويه: «لم يكن يلتقي ساكنان» (٢). ولا يغتفر التقاء الساكنين على أية صورة في الكلام المفرد أو المركب إلا في حالات معينة محدودة (٣). ولتوضيح ذلك الثقل نقول إن الطبع العربي لا يقبل الابتداء بالساكن (٤)، وإذا جاء ما أوله

(١) انظر الجصاص ٣٢٠/١ - ٣٢١.

(٢) انظر الكتاب (هارون) ١٥٢/٤.

(٣) انظر مثلاً شرح الرضى الشافى ٢١٠/٢.

(٤) انظر الجصاص ٩٠/١ - ٩١، وشرح الرضى الشافى ٢٥٠/٢ - ٢٥١.

ساكن فإنيهم لا بد - لنطقها ببدء - أن يعتمدوا على حركة تمثل في همزة الوصل (١) . والناطق إذا نطق حرفاً ساكناً فإنه يكون بالانتهاء من نطقه في حال تماثل حال الوقف ، فإذا جاء بعد هذا الساكن ساكن آخر احتيج للنطق به إلى حركة يبدأ بها ، ولأنه ليست هناك حينئذ حركة فإنه يتعذر أو يتعسر عليهم النطق . ووجه اعتداد هذا - أعني منع التقاء الساكنين - شيئاً ممدوحاً هو حرص العرب على تجنب كل ما يستشعر ثقله في لغتهم .

وموضوع التقاء الساكنين من الموضوعات التي فصلت في كتب الصرف فتحيل عليها (٢) .

٣ - منع توالي الحركات الثقيلة . والفتح أخف الحركات ، والكسر ثقيل بالنسبة له ، والضم أثقل من الكسر ، والساكن أخف من المتحرك (٣) . ومن هنا كان مثال فَعَل بفتح فسكون «أعدل الأبنية» وأخفها «حتى كثر وشاع وانتشر» (٤) . ثم كان من حرص العرب على خفة ألفاظهم أن تجنبوا - في أصول أبياتهم أن يبنوا أسماء تلي الضمة فيها الكسرة أو العكس «لاستثقال الخروج من ثقیل إلى ثقیل يخالفه . فأما في نحو عُسْتُق ولابل فتماثل الثقيلين خفف شيئاً ، والخروج من الكسرة إلى الضمة أثقل من العكس ، لأنه خروج من ثقیل إلى أثقل منه ، فلذلك لم يأت فعل لا في الأسماء ولا في الأفعال ، إلا في الحبس إن ثبت . ويجوز ذلك إذا كان إحدى الحركتين غير لازمة نحو يضرب ، وليقتل . وأما فَعِل فلما كان ثقله أهون قليلاً جاء في الفعل المبني للمفعول ، وجوز ذلك لعروضه لكونه فرعاً للمبني للفاعل . (٥) ٨١ .

- (١) انظر شرح الرضي ٢/٢٥٠ - ٢٥١ .
- (٢) انظر مثلاً شرح الرضي الشافية ٢/٢١٠ ، والقواعد والتعليقات للشيخ شبابة ١٤٨ - ١٥١ والكتاب (هارون) ٣١١/٥ حيث مواضع معالجة التقاء الساكنين في الكتاب .
- (٣) انظر الألفي القريب في علم البيان لمحمد بن محمد التنوخي - باب مخارج الجروف .
- (٤) انظر الخصائص ١/٥٩ ، ٦٠ .
- (٥) شرح الرضي ٢/٢٥٠ - ٢٦١ .



وقد علل ابن جني جواز فتح عين فُعَلَات (بضميتين) وِفْعِلَات (بكسرتين) نحو غرفات وكيسرات ، وكذلك جواز سكون تلك العين ، بأن هذا وذاك هرب من ثقل توالي الضميتين والكسرتين (١) . كما علل لامتناع بناء الصيغة الرباعية فِعْلُل (بكسر فسكون فضم) باستكراههم الخروج من كسر إلى ضم ، وإن كان بينهما حاجز لأن مسكونه جعله حاجزاً ضعيفاً (٢) .

٤ - تخفيف الحركات بتقريب بعضها من بعض ، وبالتناسب بينها

وبين الحروف .

وهذا نهج للعربية تبرز شواهدُه لدينا في صور محددة : الإمالة : مسوغاتها وموانعها ، الإنباع في الحركات ، تفخيم حركات الحروف المفخمة (المستعلية) وترقيق حركات غيرها ، فتح عين المضارع الحلقى العين أو اللام . وهذا حديث عن كل منها .

الإمالة :

« وهي أن تذهب بالفتحة إلى جهة الكسرة ، فإن كان بعدها ألف ذهبت إلى جهة الياء كالفتي ، وإلا فالمال الفتحة وحدها كنعمة . » (٣) وهذه وسيلة أخرى للتخفيف بتقريب الحركات بعضها من بعض ، بحيث لا يكون الانتقال من حركة إلى تاليها حاداً فيثقل . قال سيبويه في بيان سبب الإمالة : « فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور . . . وإنما أما لوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها ، كما قربوا في الإدغام (يعني المضارعة) الصاد من الزاي حين قالوا « صدر » فجعلوها بين الزاي

(١) انظر الخصائص ٥٩/١ .

(٢) انظر الخصائص ٦٨/١ .

(٣) أوضح المسالك (محيي الدين) ٣٥٤/٤ .

والصَاد ، فقربها من الزاى والصَاد التماس الحفة ، لأن الصَاد قريبة من الدال .  
 فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال . وبيان ذلك في الإدغام «  
 فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد ، كذلك يقرب  
 الحرف إلى الحرف قدر ذلك : فالألف قد تشبه الياء ، فأرادوا أن يقربوها  
 منها » (١) وقد كرر بيان وجه التخفيف في الإمالة في حالات أخرى (٢) .  
 وعبر الزمخشري عن وجه التخفيف بتجانس الصوت (٣) ، وعبر ابن  
 الحاجب بالمناسبة يعنى بين الفتحة والألف من ناحية وبين الكسرة والياء  
 من ناحية أخرى (٤) . وعبرة ابن يعيش : « الغرض من الإمالة تقريب  
 الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل فقربوا الألف من الياء لأن  
 الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا ،  
 ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء ، فصار  
 الصوت بين بين ، فاعتدل الأمر بينهما ، وزال الاستثقال الحاصل  
 بالتنافر » (٥) أ هـ .

ويلفت النظر ذلك الربط بين المضارعة والإمالة والإدغام — كما هو  
 واضح في كلام سيبويه ، وقد تبعه الآخرون فيه (٦) ، لأنها كلها من وسائل  
 التخفيف .

والإمالة جوازية ليس فيها حالات واجبة (٧) .

### حالات الإمالة :

أجمل الزمخشري حالات الإمالة في قوله : « وسبب ذلك (يعنى الإمالة) »

(١) الكتاب ١١٧/٤ (٢) نفسه .

(٣) انظر شرح المفصل ٥٣/٩ .

(٤) انظر شرح الرضى الشافية ٤/٣ .

(٥) شرح المفصل ١٠٤/١٠ ، ٥٥ ، باختصار .

(٦) نفسه ٥٣/١٠ — ٥٥ .

(٧) انظر شرح المفصل ١٠٤/١٠ ، ٥٥ ، وشرح الرضى الشافية ٥/٣ .

أن تقع بقرب الألف كسرة أو ياء ، أو تكون هي منقلبة عن مكسور أو ياء أو صائرة ياء في موضع (١) ويمكن تفصيلها بما يلي :

يجوز إمالة الفتحة والألف في الحالات الآتية :

١ - إذا سبقت الألف بكسرة قبل الحرف الذي هي فيه مباشرة مثل كتاب ، ورجال ، وعبادة وإفادة وتجارة وابتعاث وافتتاح ، أو مع فاضل مثل شمال ومنحار واستفتاح وإنا ومنا . (وتجوز بقلة إذا كان الفاصل بين الكسرة وحرف الألف هاء متحركة غسيير مضمومة مثل يريد أن يزرعها ويضر بها) (٢) .

٢ - إذا تلت الألف كسرة نحو عالم ، ومنابل ، ومنازل ، ومشجامل الخ . . . (٣) .

(ثم إنهم أجروا المنفصل - من الكسرة والألف - مجرى المتصل ، والعارض مجرى الأصلي فأمالوا الألف التي سبقتها كسرة من كلمة أخرى غير مستقلة مثل بنا ومنا ومنها أو مستقلة نحو لزيد مال ويعبد الله ، وأمالوا ما تلتها كسرة من كلمة أخرى مثل ثلثا درهم وغلاما بشر ، أو كسرة عارضة نحو على بابي ومن ماله (٤) ، وأمالوا ألف التنوين نحو درست علماً ورأيت زيداً) (٥) .

٣ - إذا سبقت الألف ياء مباشرة نحو يسان وسيسال (شجر) ، وبيساع وزيات ، وارتياح وابتياح ، وانهار الخ ، أو بفاصل والياء ساكنة نحو شيمان ونيمان ، (أو متحركة ولكن الإمالة حينئذ ضعيفة نحو الحيوان والحيدان) (٦) .

(١) شرح المفصل ٥٥/٩ .

(٢) نفسه ٥٥/٩ - ٥٧ وشرح الرضى الشافعية ٤/٣ : ٤ .

(٣) شرح المفصل ٥٥/٩ - ٥٦ . وشرح الرضى الشافعية ٧/٣ .

(٤) انظر شرح الرضى الشافعية ٦/٣ - ٧ ، وشرح المفصل ٩٧/٩ .

(٥) شرح المفصل ٥٨/٩ .

(٦) شرح المفصل ٥٦/٩ وشرح الرضى الشافعية ١٠/٣ .



• - وقد أمالوا الألف إذا كان قبلها في الكلمة ألف مماله لتناسبها . فقال الألف الأخيرة في رأيت عمادا ، وحسبت حسابا ، وهذا مغزانا . قال ابن يعيش : « والغرض من ذلك تناسب الأصوات وتقارب أجراسها » (١) .

• - ثم إنهم أمالوا الألف إذا كانت عيناً لفعل منقلبة فيه عن مكسور نحو خاف وطاب ، أو لاسم وهي منقلبة عن ياء نحو ناب وعاب ، أو كانت لاماً لفعل مطلقاً نحو رمى وسعى ودعا ، أو لاسم وهي منقلبة عن ياء نحو الفنى والرحى ، أو كانت رابعة فأكثر مطلقاً نحو أغزى ، وادعى ، ومغزى وملهى (٢) .



- وفي إطار الغرض من الإمالة - وهو تقريب الحروف المتجاورة بعضها من بعض في النطق لتخفيفه - فإن حروف الاستعلاء (نحس ضغط قظ) تمنع الإمالة إذا وليت الألف - قبلها أو بعدها - نحو صاعد وعاصم وضامن وعاضد . : أو وقعت بعدها بحرف أو حرفين كناشص ومقاريص وعارض ومعارض . . . قال ابن يعيش معللاً : « الألف إذا خرجت من موضعها اعتلت إلى الحنك الأعلى ، فإذا كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها - كما غلبت الكسرة والياء عليها (عند عدم حروف الاستعلاء) ، إذ معنى الإمالة أن يقرب الحرف مما يشاكله من كسرة أو ياء ، فإذا كان الذى يشاكل الحرف غير ذلك أملت بالهرف إليه . وهذه الحروف (المستعلية) مفتحة المخارج (يتفتح لها الفم لأنها مفخمة) ، فلذلك وجب الفتح معها ، ورفضت الإمالة هنا من حيث اجتلبت في ما تقدم » (٣) . وهذا المنع مشروط بالألا تسبق

(٢) انظر شرح المفصل ٥٨/٩ - ٥٩ .

(٢) نفسه ٥٧ - ٥٨ وأخرت هذه المجموعة وأجملتها ، لأن غرض تقريب الحركات المتجاورة بعضها من بعض غير ظاهر .

(٣) شرح المفصل ٥٩/٩ .

هذه الحروف وهى مكسورة أو ساكنة بعد كسر ، وإلا أوهى الكسر استعلاءها ، وجازت الإمالة فى نحو صعب ومضباح وطِلاب ومطعام (١)

والراء غير المكسورة تمنع الإمالة فى مثل راشد وهذا حارك ، والمكسورة ترجع الإمالة حتى مع وجود حرف الاستعلاء أو وجود غير المكسورة فيجوز إمالة طارد وغارم ومن قرارك . وذلك أن التكرير الذى هو صفة الراء الأساسية يضاعف قوة حركتها (٢) .

#### إمالة الفتحة وحدها :

انصبت القواعد السابقة على الألف وما عُدَّ فتحة قبلها . أما الفتحة وحدها ، فقد قال ابن يعيش : « اعلم أن الفتحة قد تمال كما تمال الألف ، لأن الغرض من الإمالة مشاكلة الأصوات وتقريب بعضها من بعض ، وذلك موجود فى الحركة كما هو موجود فى الحرف ، لأن الفتحة من الألف . . . فكل ما يوجب ( يعنى يحيز ) إمالة الألف يوجب ( أى يحيز ) إمالة الحركة التى هى الفتحة ، وما يمنع إمالة الألف يمنع إمالة الفتحة » (٣) . ويحدد ابن هشام حالات إمالة الفتحة بوقوعها قبل حرف من ثلاثة : الألف وقد مضت . . . ، والثانى : الراء بشرط كونها مكسورة ، وكون الفتحة فى غير ياء ، وكونهما متصلتين نحو « من الكسبر » ، أو منفصلتين بساكن غير ياء نحو من عمرو . بخلاف نحو أعوذ بالله من الغسير ، ومن قبيح السيسر ، ومن غيرك . قال : « واشترط الناظم تطرف الراء مردود بنص سيبويه على إمالتهم فتحة الطاء من قولك رأيت خبط رياح » . والثالث : هاء التانيث . وإنما يكون هذا فى الوقف خاصة كرحمة ونعمة ، لأنهم شبهوا هاء التانيث بألفه ، لاتفاقهما فى المخرج ، والمعنى ، والزيادة ، والتطرف ، والاختصاص بالأسماء » (٤) اهـ . ولكن هذا الإطلاق لإمالة الفتحة قبل هاء التانيث فصله القراء ممثلين فى الكسائى بأن ما قبل هاء التانيث تمال فتحته فى خمسة

(١) نفسه ٦٠/٩ .

(٢) نفسه ٦١/٩ .

(٣) انظر شرح المفصل ٦٤/٩ .

(٤) أوضح المسالك ( محيى الدين ) ٢٥٩/٤ - ٢٦٠ .

عشر حرفاً فقط يجمعها قولك ( فجئت زينب لذود شمس ) فالفاء كخليفة ورأفة ، والجيم كوليعة وبلجة ، والثاء كثلاثة وخبيثة ، والتاء كبغثة والميثة ، والزاي كبارزة وأعزة ، والياء كخشية وجرية ، والنون كسنة وجنة ، والباء كحبة والتوبة ، واللام كلسيلة وثلاة ، والذال كلذة والموقوذة ، والواو كفسوة والمروة ، والدال كبلدة وعدة ، والشين كالباحشة وعيشة ، والميم كرحمة ونعمة ، والسين كالحامسة وخمسة . ثم قال : « وتفتح مطلقاً ( أى لاتمال ) بعد عشرة أحرف وهى حروف الاستعلاء ( خص ضغط قط ) والحاء والألف ( أى إذا لم يتوفر لها سبب إمالة ) والعين ، والأربعة الباقية وهى حروف ( أكهر ) إن كان قبل كل منها ياء ساكنة أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن أميلت ، وإلا فتحت » (١) .



وبعد فإن أثر الإمالة فى تخفيف النطق بتقريب الحركات بعضها من بعض ينبغى أن يقوم فى ضوء كثرة الصيغ التى يمكن أن تدخلها الإمالة ، وفى ضوء كثرة جريان هذه الصيغ فى الاستعمال اللغوى أيضاً . وقد ذكرنا بعضاً من هذه الصيغ فى الحالات الأربع الأولى من حالات جواز إمالة الفتحة والألف ، وهى صيغ كثيرة الجريان لأن كثيراً منها مصادر وجمع ومشتقات قياسية . وأما بالنسبة لإمالة الفتحة فقط ، فهى وإن كانت لم تشترط فى الخمسة عشر حرفاً وجود الكسر أو الياء — أى أن التناسب قد لا يكون هو هدف الإمالة هنا ، إلا أن فيها تخفيفاً من جانب آخر ، وهو مناسبة الإمالة لانهاء الكلام بالهاء ، وهى من حيث الكثرة تشمل كل المؤنثات بالتاء المسبوقة بأى من الحروف الخمسة عشر — وهذا كتم كبير .

ومن تقريب الحركات الذى يشبه الإمالة :

( ١ ) الكسر لمناسبة الكسرة والياء فى صيغتي فَعُول ومَفْعُول : قال سيبويه : « وقد يكسرون أول الحروف لما بعده من الكسرة والياء ، وهى

(١) الإتيان النوع ٢٠ ( ١ / ٩٣ فى الطبعة غير المحققة ) .



لغة جيدة . وذلك قول بعضهم تدري وحقى ، وعصى ، وجى (١) .  
فالخرف الأول فى كل من هذه الكلمات وبابها (٢) مضموم  
يجوز كسره لمناسبة كسرتاليه . أما هذا التالى فهو مكسور ضرورة  
لمناسبة الياء بعده . ثم ذكر سيبويه ما جاء من صيغة مفعول شبيهاً  
بهذا من قول الشاعر : أنا الليث معديا على وعاديا : وقولهم فى  
الأرض يسئوها المطر مسنية ، ومرضى عنه (أصله الواو من الرضوان) .  
والمقصود هنا كسر ما قبل الياء لمناسبتها . وقد جاء على الأصل  
مرضو (٣) : ثم أقول : والأمر كذلك فى الكسر قبل الياء فى الجمع  
على أفعل (٤) ، وجمع المذكر السالم — إذا كان أى منهما منتهياً  
بواو قلبت ياء نحو أدل جمع دلسو (أصلها أدلسو) ، ونحو نخرجى  
وشاهدى ومبعوثى (أصلهن فى الرفع نخرجوى وشاهدوى  
ومبعوثوى) فإن الضمة التى كانت قبل الواو قلبت كسرة لتناسب  
الياء (٥) .

(ب) كسر هاء الضمير إذا سبقها كسرة أو ياء . بعد أن ذكر سيبويه  
أن هاء الضمير (فى إنه مثلاً) أصلها الضم وبعدها الواو : « لأنها  
فى الكلام كله هكذا » . قال : « فالحاء تكسر إذا كان قبلها ياء  
أو كسرة ، لأنها خفية كما أن الياء خفية . . . وهى من موضع  
الألف ، وهى أشبه الحروف بالياء . فكما أمالوا الألف فى مواضع  
استخفافاً ، كذلك كسروا هذه الهاء ، وقلبوا الواو ياء ، لأنه  
لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة . فالكسرة ههنا كالإمالة فى

(١) الكتاب ٤/٣٨٤ - ٣٨٥ .

(٢) صيغة فـول تأتى جمعاً كـصى ودل ، ومصدرأ كـتى وعسى . فهذان هما البابان .

(٣) الكتاب ٤/٣٨٥ - وقد اختلف فى إعلال اسم المفعول من فعل الذى لامه واو فإذا  
كان مكسور العين كـرضى فإعلاله واجب ، وإذا كان مفتوحها فتصحيحه واجب . انظر القواعد  
والتطبيقات ٦١ - ٦٢ .

(٤) الكتاب ٤/٣٨٢ .

(٥) الجزئية الخاصة بجمع المذكر من كتاب القواعد والتطبيقات ٨٨ .

الألف بكسرة ما قبلها وما بعدها (١) . وذلك مثل به ، فيه ، بهم ، فيهم ، عليهم . . . وهناك من قال « منهم » بكسر الهاء . ثم ذكر سيويو أن أهل الحجاز يأتون بها على الأصل مضمومة وبعدها واو (٢) . والذي يهمنا أن كسر الضمير هنا لمناسبة الكسر أو الياء قبله من الأقوى والأجري ، وليس لهجة ضعيفة .

~~~~~

### الإتباع في الحركات :

ومعناه تحريك الحرف يمثل حركة حرف آخر تبعاً له . وله صورتان مطردة منها :

— ضم همزة الوصل تبعاً لضم الحرف الثالث في الكلمة ، وذلك في الأمر من كل فعل ثلاثي من باب نصر : اُكْتُبْ اُخْرَجْ . وفي المبني للمفعول من كل فعل ماضٍ مبني بـ همزة وصل وذلك إحدى عشرة صيغة (٣) مثل اُحْتَقِرْ ، واحترِجْ واستضعِفْ انْقُطِعْ به ، واقْعَنْسِ واجْلُودْ الخ . قال الرضي : « وإذا جاءت ( من هذا النوع ) همزة مضمومة قبل ضمة مشمة ( كسرا ) كما في اختير وانقيد أشمت ضميتها أيضاً كسرة » (٤) . وهذا الإتباع هو الراجح المشهور . وغيره ضعيف غير مشهور (٥) .

— كسر فاء صيغة فعِل الحلقية العين اسمية أو فعلية ، وكذلك فاء صيغة فعِل الحلقية العين إتباعاً لكسر العين فيهما نحو شهيد ، وقَحِيْدٌ ، وزَجِلْ ، مَحْكٌ ، ونحو شهيد ، وسعيد ، ونحيف ، ورغيف . فيجوز فيها جميعها

(١) الكتاب ١٩٥/٤ .

(٢) نفسه .

(٣) أنظر الكتاب ١٤٥/٤ - ١٤٦ وشرح الرضي الشافية ٢/٢٥١ ، ٢٦٠ .

(٤) شرح الشافية ٢/٢٦٥ ، وما بين الأقواس إضافة لبيان المراد .

(٥) قال الرضي : « وقد تكسر همزة الوصل قبل الضمة نحو انصر ، اقتدر عليه . وليس

مشهور » ( نفسه ) .

كسر الفاء إتباعاً ، وهذا وإن كان أصله لهجة نعيم إلا أنه شاع وقوى حتى حكموا باطراد جوازه (١) .

- إتباع حركة عين المفرد لحركة فائه عند جمعه جمع مؤنث سالماً إذا كان هذا المفرد اسماً ثلاثياً ساكن العين غير معتلها ولا مدغمها فيقال في سجدة ودعد سجدة ودعادات ، وفي خطوة وجمل خطوات وجملات ، وفي كسرة وهند كسرات وهندات ويجوز في مضموم الفاء ومكسورها فتح العين وإسكانها أيضاً (٢) .

- وهناك - إلى ذلك - إتباع الحركات في الكلمات المتجاورة كقراعى « الحمد لله » بضم الدال واللام ، وبكسرهما (٣) - وهو باب برأسه - ومن صورته الإتباع في مثل « قل انظر » بضم اللام من أجل الظاء ، « قالت اخرج » بضم التاء للراء ، « وعذاب اركض » بضم نون التنوين من أجل الكاف (٤) . . ومشورات كثيرة (٥) .

- والخفة في الإتباع تتمثل في استمرار مواضع أداء الحركة في القم على هيئة واحدة في الحرفين ، وتجنب الانتقال من هيئة إلى أخرى .

فتح عين المضارع إذا كانت هي أو لامه حلقية :

وذلك من تناسب الحركة مع الحرف : فقد غلب مجيء مضارع ( فَعَل )

- (١) الحكم باطراده في شرح الرضى ٤٠/١ .
- (٢) انظر الكتاب ٣٩٧/٢ ، ٥٧٩ - ٥٨١ وأصح المسالك ٢٠٣/٤ - ٣٠٥ وشرح ابن عقيل ١١١/٤ وفي كليهما تصريح بأن هذا إتباع .
- (٣) انظر مثلاً معجم القراءات القرآنية ٥/١ .
- (٤) انظر في الآيات الثلاث الكتاب ١٥٢/٤ - ١٥٣ وهن بالترتيب من س يونس ١٠١ ، يوسف ٣١ ، ص ٤١ - ٤٢ . وضبط كلمة « عذاب » في الآية بكسرتين في المصحف وفي طبعة الكتاب بضميتين .

(٥) مثل متن ( بكسر الأول والثالث ) أجوءك ، أنبتك ( بضم الباء ) ، إحب ( بكسر الهمزة ) ( الكتاب ١٠٩/٤ ) ، اليسروع ( بالضم ) ( نفسه ٢٦٥/٤ ) ، وانظر الخصائص ١٤٢/٢ وشرح الرضى الشافية ٤١/١ ، والأشياء والنظائر ( طه سعد ) ١٣/١ - ١٧ .



المفتوح العين في الماضي مفتوحها في المضارع أيضاً إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق كمضارع قرأ ، جبه ، قلع ، ذبح ، دمع ، رضح ، سأل هر ، بعث ، بحث ، نغر ، فخر وذلك لكون الفتح مناسباً لحروف الحلق - لأن الفتحة من الألف ، والألف أقرب إلى حروف الحلق ( يقصد أن صلور زميرها من الحنجرة وجريانه في هواء الحلق والفم دون تدخل كبير من اللسان جعلها كأنها حلقية ) ، ولأن الفتحة خفيفة فتخفف ثقل حروف الحلق (١) .

### تناسب صفات الحركات والحروف :

التناسب بين صفة الحرف وصفة حركته طويلة أو قصيرة يختزل عدد هيئات أعضاء النطق ، ويجنب كلفة أداء الهيئات المتتابعة متضادة كالانتقال من حرف مفخم غليظ الصوت مثلاً إلى حركة مرققة هي حركته ، أو العكس . وتلك ظاهرة التفخيم .

### تفخيم الحركات وترقيقتها :

والتفخيم هو غلظ أو سمن يدخل على صوت الحرف فيمتلئ الفم بصداه . والترقيق نحول يدخل على صوت الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه (٢) . والحروف المفخمة هي حروف الاستعلاء (خص ضغط قط) ، والراء إذا كانت مفتوحة أو مضمومة ، أو كانت ساكنة بعد فتح أو ضم ، واللام في لفظ الجلالة بعد فتح أو ضم (٣) كذلك .

(١) الظاهرة والتعليل في شرح المفصل ١٥٣/٧ وشرح الرضى ١١٧/١ - ١٢٣ ، وفي ص ١١٩ منه ما يفهم جواز تغيير حركة عين المضارع الحلق العين أو اللام إلى الفتح إن لم تكن كذلك .

(٢) انظر نهاية القول المفيد ٩٦ .

(٣) نفسه ٩٧ - ١٠٣ والكلام عن الراء مستخلص من ص ٩٧ - ١٠٠ مع الاجتزاء عن بعض تفاصيل أحكام الراء وبخاصة في الوقف . هذا ، ولم أقف عند تفخيم ألف الصلاة والزكاة والحياة ، وكتابتها في المصحف يواو ؛ لأنها لهجة لم تأخذ صفة الانتشار الكافي لإخراجها عن النطاق المحدود . وقد قيل عنها إنها لهجة لأهل الحجاز . وقيل عن رسمها بالواو وإنه لتفخيم ، أو لبعث أصلها الواو (في غير الحياة - وأما في هذه فقيل : ليعلم أن الواو بعد الياء

والفتحة ، وألف المد ، وواو المد يفخمن إذا ولين أيا من الحروف  
المفخمة المذكورة بأن كانت أى منهن حركة له . فتفخم فتحات حروف  
الاستعلاء في طالع ، صالح ، ضحك ، ظم ، غلب ، خلع ، قلب .  
وكذلك فتحة البراء في رزق . وتفخم ألف المد في طالع صالح ضاحك  
ظالم خاسر غالب قالب رازق ، كما تفخم واوه في طولع صولح . الخ .  
- وسائر الحروف مرققة ، وإذا فكل الحركات مرققة معها .

### • - التخفيف في الحركات بال حذف :

وهذا أسلوب للتخفيف عريق في العربية أيضاً . وأساسه أن السكون -  
إذا كان في آخر الكلمة أو الكلام ، أو في نسق لا يلتقي فيه بساكن آخر  
يسبب ثقلاً - فهو أخف من الحركة ، لأن حقيقة السكون هو علم  
الحركة ، والحركة جهد يؤدي في الكلام كالحرف . ولا شك أن أداء  
الكلام بكامل فائدته مع الاختصار في الجهد بحذف بعض الحركات أولى  
وأخف .

### وبحذف الحركات له عدة صور :

( ١ ) إخلاء الأفعال والأسماء المعثلة الآخر من حركات الإعراب والبناء  
التي يتقل أداؤها وذلك مثل رمى ودعا والفتى والقنا واهتدى واستدعى  
والمستشفى والمنجى والكبرى . . . فالأسماء والأفعال التي من هذه  
الأنواع ( أعني المنتهية بألف فهما كان أصلها ) يتعذر ظهور  
الحركات إلا إذا قلبت الألف همزة - وهذا يغير حقيقتها ويثقلها .  
ولذا فإنها لا تظهر عليها أى من الحركات . أما الأفعال والأسماء  
المنتهية بواو كيدعو أو ياء كيرى والقاضى ، فلا تظهر عليها  
إلا أخف الحركات وهي الفتحة . أما الضمة والكسرة فلا تظهران  
على الواو أو الياء تجنباً للثقل .

« في حد الجمع » أو لأن أهل اليمن يقولون « الخيوة » بفتح الياء وإسكان الواو قالواو بدل من  
ألف حياة ، ويقولون كذلك بكل ألف متغلبة عن واو كالصلاة والزكاة . وانظر عنها الكتاب  
٤/٣٧٧ ، وشر صناعة الإعراب ( هنداوى ) ١/٢٠٢ ، ولسان العرب وقاج المروسي ( نجي ) .

(ب) ويلحق بهذا ما قال ابن جني إنه كثير من إسكان الياء والواو في موضع النصب . يعني أن الأسماء والأفعال المنتهية بواو أو ياء يجوز حذف حركة النصب منها إذا وقعت منصوبة مشتملة « عفت إلا أثافها » ، « أبي الله أن أسمو بأم ولا أب » . وقد ذكر شاهدين آخرين (١) .

(ج) إخلاء ما يوقف عليه من حركات الإعراب والبناء إن كانت مثل على ذهب . قام . هو يكتب . يقوم . ينام . يبيع ، لن يكتب . لن يبيع . لن يصوم . . جاء خالد . هذا سعد . وراح زيد . استمعت إلى صوت . في ليلة القدر . هذا كتابك اذهب إليه . اكتبه . لا رجل لا قيد . الالهون . لا كتاب ، يا رجل . يا سعد . يا زيد . يا قوم الخ .

وواضح أن هذا مجال عريض للتخفيف يدخل فيه كل ما وقف عليه إلا الخالي من الحركة أصلاً ، وإلا المنصوب المنون فإن تنوينه يبدل ألفاً في الوقف مثل قرأت كتاباً (٢) .

(د) إسكان عين الصيغ الثلاثية من الأفعال والأسماء إذا اختلفت حركاتها أو ثقلت .

— فالفعل الماضي له ثلاث صيغ للمبنى للفاعل هي فعل بفتح الفاء دائماً مع فتح العين أو ضمها أو كسرها . والمبنى للمفعول منه بضم الفاء وكسر العين فهذه أربع صيغ يجوز تخفيف ثلاث منها بإسكان عينها وهي فَعَلَ المبنية للفاعل بضم العين وكسرها والمبنية للمفعول ، .

— والأسماء الثلاثية لها اثنا عشر صيغة منها ثلاث بإسكان العين مع فتح الفاء أو ضمها أو كسرها . ، وإلا التسع الباقية منها اثنان لا تأنيان في الأسماء هما فَعُل بكسر فضم . وبضم فكسر . تبقى من الصيغ المتحركة العين سبع

(١) انظر الخصائص ٢/٣٤١ - ٣٤٢ . . .

(٢) انظر في تفاصيل أحكام الوقف شرح الرضي الشافعي ٢/٧٧١ - ٧٧٢ . ٤٧٩ .



هي فَعَلْ كسبب، وفَعُلْ كعضد، وفَعِلْ ككتف، وفُعِلْ كمُنق، وفَعَلْ كزُفَر، وفَعَلْ كعنب، وفَعِلْ كإبل. يجوز إسكان العين في أربع من تلك الصيغ السبع وهي ما كان على وزن عضد، أو كتف، أو عنق، أو إبل. أي أن الذي لابد - حسب اللغة العامة الفصحى - أن تتحرك عينه من صيغ الأسماء الثلاثية العشر هو ثلاث صيغ فقط وهي ما كان على فَعَلْ كسبب أو فَعُلْ كزفر، أو فَعِلْ كعنب أي ما كان مفتوح العين مع أي من الحركات الثلاث للفاء (١). وقد علمنا أن الفتح أخف الحركات.

— بل إنهم طردوا جواز حذف الحركة هذا في بعض ما تكونت فيه صور تلك الأوزان - التي أجازوا فيها ذلك الحذف التخفيفي للحركة - ولومن أكثر من كلمة.

فقد ذكر ابن جني حروفاً تنزل مع ما بعدها كالجاء منه وهي فاء العطف، وواوه، ولام الابتداء، وهزة الاستفهام. ثم ذكر أن دخول أي من هذه الحروف على أي من الضميرين (هو وهي) يجوز إسكان هاء الضمير فيقال أهو..؟ أهني..؟ فهو، فهني، وهو، وهني، لهو، لهني لأن التركيب يصير حينئذ موازناً لعضد أو كتف اللتين أجاز إسكان وسطهما هما وما كان على صيغتهما من الأسماء والأفعال (٢).

— ويبدو من كلام آخر لابن جني أنه ألحق كاف التشبيه بالحروف الأربعة المذكورة، لأنه أجاز إسكان ما وازن بدخولها عليه صيغة فَعِلْ (ككتف) (٣).

— وذكر الرضي أن المضارع إذا دخلت عليه لام الأمر (وهي مكسورة)، ثم واو العطف أوقاؤه (وهما مفتوحتان) فإن لام الأمر يجوز إسكانها

(١) نفسه ٣٩/١ - ٤٤ والخصائص ٣٢٨/٢.

(٢) انظر الخصائص ٣٢٩/٢ - ٣٣٠.

(٣) نفسه.

(أى حذف حركتها) لأن حرف العطف واللام وحرف المضارعة يصرن معاً حيثئذ على صيغة تشبه صيغة **فَعِلَ كَعَلِمَ** : نحو وليضرب ، فلتضرب (١) ثم قال الرضى : « وشبه به ثم ليفعل وهو أقل » (٢) أى أنه يجوز إسكان لام الأمر أيضاً إذا كان العاطف الداخِل عليها ثم ، وإن كان أقل ،

— ومما شبه بما سبق وقوع صيغة **فَعِلَ** كفرح في غير الثلاثي كقول العجاج : « فبات منتصباً . . » بإسكان الصاد . وكالذى حكاه سيويه « أراك منتفخاً » بإسكان الفاء (٣) . واتكثوا على الوصول إلى الصيغة المخففة هذه فقليل انطلق بإسكان اللام وفتح القاف من الأمر « انطلق » ، وقيل « لم أجِدْ من ذلكم بدا » ، وقيل « لم يَلِدْ » (٤) .. لكن هذا واضح القلة ،

— ومثل ذلك في القلة ما حمل عليه من مركبات يمثل الإسكان فيها مخالفة إعرابية (٥) ،

— وهناك صور من تخفيف الحركات وغيرها كالوقوف على ما قبل آخره سكون بنقل حركة إعرابه إلى الساكن وإسكان الآخر وحده تخلصاً من التقاء الساكنين — وإن كان هذا على باب — نحو هذا بكُـر ، ومررت ببيكـِر (٦) ، وكالوقوف على ما آخره همزة بإبدال الهمزة حرف لين أو مد (٧) ، وكالوقوف على المنقوص بحذف الياء أو إعادتها كهذا قاضٍ وقاضٍ . والقاضٍ والقاضى (٨) . وبعض هذا مرجوح ،

(١) شرح الشافية ٤٤/١ . (٢) نفسه ص ٤٥ .

(٣) انظر الخصائص ٢/٢٣٨ - ٢٣٩ وشرح الرضى ٤٥/١ .

(٤) نفس الموضعين في الكتاين .

(٥) كما قيل « ومن يتق فإن الله معه » بإسكان القاف ، « اشتر لنا » ولا تكثر كرى . بإسكان راءى اشتر وتكثر ، « فاليوم أشرب غير مستحقب » بإسكان باء أشرب « وقد بداهلك » بإسكان النون ... إلى مواضع أخرى . انظر الخصائص ٢/٢٣٩ - ٢٤١ .

(٦) انظر مثلاً شرح المفصل ٧٠/٩ - ٧٢ .

(٧) نفسه ص ٧٣ . (٨) نفسه ص ٧٤ - ٧٦ .

وكحذف الواو والياء الموقوف عليهما للفواصل (١) ... إلى منشورات  
كثيرة .



● وبعد . فلعل ما فصلناه من صور حسن التأليف لمباني الكلم في العربية ،  
وما أوجزناه من تطبيقاتها يثبت هذه الخصيصة للغة العربية إثباتاً علمياً  
محققاً ومؤصلاً وتطبيقياً .

ويبقى جانب الاختصاص أعني انفراد العربية بالانحصاف بحسن تأليف  
مباني الكلم فيها . وهي الدعوى التي صرح بها الفارابي وابن فارس وابن  
سنان - على ما أسلفنا .

ولتيسير المقابلة بين العربية وغيرها في معالجة هذا الجانب فإننا نذكر  
بالعناصر الأساسية في معالجتنا لصور حسن تأليف مباني الكلم في العربية .

نقد عالجتنا وحققتنا : -

١ - قلة عدد الحروف التي بنيت منها جمهور الكلمات العربية . واعتمدنا  
في ذلك على إحصائيات علمية .

٢ - أن الأبنية الكثيرة الحروف في العربية بنيت مخففة باشتراك حروف  
الخفة ( الدلاقة ) فيها : واستخرجنا ذلك من إحصائيات علمية .

٣ - أن الكلم العربية بنيت في الأصل متسقة ؛ فلم يجمع في أي منها حروف  
تتنافر أو تضاد ، وأن ما شذ من ذلك لا يتجاوز نسبة الندرة .  
واستخرجنا ذلك أيضاً من إحصائيات .

٤ - أنهم أجروا - في ما استشعروا ثقله من ألفاظهم - ما يخففها وذلك  
بكثير من الوسائل اللغوية المطردة :

- كالإبدال - وهو يشمل إبدال الحرف للتخفيف دون نظر إلى تقريبه  
من حرف آخر في الكلمة كإبدال تاء التأنيث ونون التنوين والتوكيد  
الخفيفة في الوقف . وإبدال أحد أضعاف الحرف المضعف تخلصاً من



ثقل التضعيف . ويشمل الإبدال للتقريب كإبدال حروف العلة والهمزة بعضها من بعض لتناسب مواقعها من الكلم والحركات السابقة أو اللاحقة لها ، وإبدال تاء افتعل طاء أو دالا لتناسب فاءها ، وإبدال السين صاداً إذا وقعت قبل حروف ( غ خ ق ط ) ، وإبدالها زايًا إذا وقعت ساكنة قبل الدال وكذا إبدال الصاد الساكنة أو إشرابها قبل الدال ، وإشراب الجيم والشين الساكنتين قبل الدال أيضاً ، وإبدال النون الساكنة ميًا قبل الباء .

— وكالإدغام وهو من التقريب ولا يتم إلا بالإبدال . وقد تناولناه بأنواعه : إدغام المثليين ، والمتقاربين سواء كان كل منهما في كلمة أو في كلمتين — مع وقفة خاصة عند صيغ افتعل وتفعّل وتفاعّل .

— وكالحذف : حذف همزة أفعل من مضارعه ومشتقاته القياسية ، وحذف إحدى التاءين من مضارع صيغ تفعّل وتفاعّل وتفعّل ، وحذف عين المثال الواوى من مضارعه وأمره ومصدره المكسور الفاء . وحذف عين المضعف ، وحذف عين الأجوف ولام الناقص لالتقاء الساكنين عند إسنادهما إلى الضمائر . وحذف لام الناقص للجزم في المضارع وللبناء في الأمر ، وحذف الحركات كلها من آخر المنهى بألف ، والضم والكسر من آخر المنهى بواو أو ياء أسماء أو أفعالا . وحذف المد لفظاً من آخر المنهى به إذا وليه ساكن في أول الكلمة التالية . . وحذف اللام من كثير من الأسماء المنتهية بواو أو ياء أو هاء أو حاء ، وحذف آخر المنادى ترخيماً ، وحذف مازاد عن الأصول في تصغير الترخيم . ومشورات أخرى كثيرة .

— وكالزيادة المريحة متدثلة في زيادة همزة الوصل لتيسير نطق ما سكن أوله في بدء الكلام ، وزيادة هاء الوقف لتيسير الوقوف بما يناسب انتهاء النفس مع بيان الحركة الموقوف عليها .

• — أنهم التزموا حسن تأليف الحركات بالمرآوحة بين الحركة والسكون

في الأبنية . فمنعوا توالي أربع حركات ، ومنعوا التقاء الساكنين  
ومنعوا توالي الحركات المتضادة .

- ثم أدخلوا — أو ألزموا — كثيراً من وسائل التخفيف :
- كالتقريب في الحركات ليتناسب بعضها مع بعض ، ومع الحروف —  
وشمل ذلك إمالة الفتحة والألف ، وإمالة الفتحة وحدها ، لمناسبة  
الكسرة أو الياء ، وكسر فاء صيغة فاعول بياؤها — إذا كانت منتهية  
بياء مشددة — لكسر عينها ، وكسر عين صيغ مفعول ومفعِل وما  
إلها — إذا كن ينهين بياء مشددة — لمناسبة تلك الياء ، وعين صيغة  
أفعل — إذا انتهت بياء مقلوبة عن واو — لمناسبة تلك الياء . وشملت أيضاً  
كسر هاء الضمير إذا سبقها ياء أو كسرة .
- والإتباع في الحركات وله بضع صور مطردة .
- وفتح عين مضارع ( فَعِل ) إذا كانت عينه أولاه حلقية .
- وتفخيم حركات الحروف المنخمة .
- وكحذف الحركات ( الإسكان ) وله عدة صور مطردة .
- إلى بعض صور التخفيف في الوقف .



آن إذا أن نعقد المقابلة بين العربية وغيرها في خصيصة حسن تأليف  
أبنية الكلم وذلك في ضوء ما فصلناه من قبل — ولخصناه آنفاً — عن تحقق  
هذه الخصيصة في اللغة العربية أوسع تحقق . ونختار من اللغات العالمية أوسعها  
وهي الإنجليزية للمقابلة بالعربية .

١ — فأما بالنسبة للجوانب التي اعتمدنا فيها على إحصائيات للعربية  
وهي : قلة عدد الحروف في الكلمة العربية بصورة غالبية ، وأن الأبنية  
الكثيرة الحروف وضعت مخففة بإشتراك حروف الخفة ( الذلاقة ) في  
بنائها ، وأن مكونات الكلم العربية بنيت بحيث لا تتنافر حروف أي منها  
بعضها مع بعض لقرب مخارجها . أو غير ذلك . هذه الجوانب الثلاثة لم  
أستطع عقد مقابلة علمية بين العربية والإنجليزية ( أو غيرها ) فيها ، لأن  
إحصائيات كم مكونات الأبنية في تلك اللغات ، وكذلك إحصائيات تكرار

الحروف وتتابعها في الكلم - وهي التي تعرف منها الحقيقة بشأن تلك الجوانب - لم أصل ببحثي إلى أنها قد أجريت للإنجليزية أو غيرها ، وذلك بالرغم من بحثي كثيراً في ما أتيح لي من كتب الصوتيات اللغوية ، والإحصاء ، والرياضيات اللغوية ، والمعجميات ، والقواعد اللغوية (١) . وقد تعاون معي بعض الإخوة الأفاضل الذين هم أوثق مني صلة بالدراسات اللغوية الأوروبية ، فلم نصل إلى هذه الإحصاءات ، ولا إلى ما يشير إلى وجودها ، وإذا كانت هذه الإحصاءات قد أجريت للعربية في أكبر معاجمها (٢) ، فلنا أن نسجل - ولو إلى حين - أن العائق عن إجراء المقابلة العلمية الكاملة بين العربية وغيرها في تلك الجوانب لم يكن من قبيل العربية .

- ثم علينا أن نلاحظ أن إجراء مثل تلك الإحصائيات في اللغات الأوروبية تعوقه عقبتان - إذا أردنا أن تكون المقابلة دقيقة تماماً :

● الأولى أن طبيعة العربية يسرت إجراء الإحصاءات بتجريد الكلم من الحركات والزوائد ، لأن اللغة العربية لغة اشتقاقية يناط المعنى فيها بحروف أصلية صامته تتركب معاً بترتيب معين وتدخل الحركات وحروف الزيادة على ذلك الأصل في صور جدد كثيرة لتعبر عن إضافات وتحويرات جدد كثيرة في معنى الأصل ، ولكنها دائماً مرتبطة به دائرة في فلكه لاتنقطع عنه أبداً . ولهذا فإنه من السهل الميسور على أدنى دارسها مستوى أن يحدد التركيب الأصلي مجرداً إياه من الحركات والزوائد .

أما اللغات الأوروبية فهي ذات طبيعة مختلفة ، لأنها لغات لصقية ، الجذور أو المكونات الأصلية لألفاظها متعددة الأصول ( بالنسبة للإنجليزية

---

(١) بحثت في قسم المراجع الأجنبية في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة - وهو زاخر بالمراجع من الكتب والدوريات بمختلف اللغات في هذا الجانب اللغوي .

(٢) من حق العربية على كل اللغويين أن ينوهوا بالجهد العظيم الذي أنجزت به تلك الإحصاءات للعربية في عدد من أكبر معاجمها الصحاح ولسان العرب وتاج العروس . وقد قام بهذا الجهد المشكور الدكتور على حلمي موسى ، وظهره وأكمل جوانب عمله بذكر كثير من دلائل تلك الإحصاءات الدكتور عبد الصبور شاهين . جزاهما الله خيراً .



مثلا هناك أصول سنسكريتية ويونانية ولاتينية وجرومانية قديمة وشمالية وشرقية وغربية وساكسونية قديمة وإنجليزية قديمة ومتوسية الخ (١) مختلفة الأنواع اللغوية (اسم فعل صفة الخ) ومع تركيب كثير من المفردات من أكثر من أصل . وغموض حقيقة بعض الأصول ، ودخول اللواحق من بوادى وكواسع (٢) . وتعدد مواقع بعض الأصول واللواحق ، وتعدد الأطوار التي مرت بها هذه وتلك قد يصعب تحديد الجذر الأصلي .

هذا . بينما لا تزيد الكلمات المنحوتة حقيقة — لا اجتهداً ولا ادعاء — في العربية عن حد الندرة . وهذا النوع وحده هو الذى يشبه بعض المركبات في اللغات الأوربية (٣) .

● والعقبة الثانية مبنية على الأولى فإنه في ضوء ما أسلفناه عن طبيعة اللغات الأوربية لا يتصور تجريدنا من الحركات لبيان أصول تركيبها . واعل هذا هو السبب في أن الأوربيين لم يجروا تلك الإحصاءات .

— ولنا — مع ذلك — أن نلاحظ قلة تردد بعض الحروف في أبنية الإنجليزية والفرنسية كحروف Q, K, X و y, z و Z وبخاصة في صدور تلك الأبنية . وقد يرجع هذا إلى الاستتقال بدائل تشابه كل من حروف المجموعة الأولى وحرفي المجموعة الثانية . من حيث المخرج والصوت .

ولنا أيضاً أن نلاحظ امتناع تناوبات معينة في صدور أبنية الإنجليزية والفرنسية من الحروف المتجانسة كالحروف التي تشترك فيها الشفتان B, F, M ، والحروف الناعمة D, T وحرفا L, R فليس في الإنجليزية أو الفرنسية ما أوله

(١) See, The Universal English Dictionary. The Introduction p. ix.

(٢) See A University Grammar of English pp. 430—449.

(٣) الذى جمعه المزهري من الكلمات المنحوتة حقيقة نحو ثلاثين انظره ١/ ٤٨٢ — ٤٨٥ وكان لابن فارس اجتهد بشأن ما زاد من كلمات اللغة عن ثلاثة أحرف أصول عرضه في المقاييس انظره مثلاً ١/ ٣٢٨-٣٣٦ وانظر محاولة العلامة أنسطاس الكرمل في نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها ٢- ٧ وهناك غيره .

تتابع F أو Fm أو Bf أو Bm أو Mb أو Mf — الخ . ( بدون فاصل ) ( ١ ) ، ولكن هذا لا يفسر ضرورة بالاستئصال لقرب المخارج ، لأن هناك تتابعات أخرى مثل Lm ، Ln ، Ml لم تأت أو لم تكثر في صدور الأبنية في اللغتين — مع أن مخارج حروفها غير متجانسة .

— وواضح أن مثل هذه الملاحظات ( العابرة ) لا تكفى ، ولا تمثل المقارنة العلمية المطلوبة .

٢ — وبالنسبة لمنع العربية البدء بالساكن والتقاء الساكنين وأنها تخفف وقوع الأول بهزة الوصل وتتخلص من التقاء الساكنين بالحذف أو التحريك . نإن بعض أئمة العربية يجعلون الابتداء بالساكن والتقاء الساكنين متعذرين ويردون ذلك إلى الطبع الإنساني ( ٢ ) . ولو كان كذلك للزم أصحاب اللغات الأخرى ما لزم أهل العربية من تخفيف هذا وذاك . لكن الواقع أن ربط منع الأمرين بالطبع الإنساني مهتز غير مسلم ، لأن البدء بالساكن والتقاء الساكنين شائعان في ما عرفت من اللغات الأوربية كالإنجليزية والفرنسية لا يستثناه أهل هاتين اللغتين . بل إن مما يحس واقعاً أن العرب الذين يجيدون أياً من اللغتين يسيغون النطق في الحالين ، ولا يشعرون بثقله — وإن كانوا لا يصلون إلى هذا المستوى إلا بعد حربة ومران مطولين . فالأمر إذاً أمر ثقل لا تعذر طبعي ، وهو ثقل نسبي يزول بالمران . نظر العرب إلى جانب الثقل فتخلصوا مما نجاءهم منه بما تخلصوا ، ونظر غيرهم إلى أن هذا الثقل يزول بالمران فلم يأبهوا له .

---

( ١ ) إنما خصصنا في التتابعات المذكورة بأوائل الجذور لأن هذه الأوائل تسهل ملاحظتها ، واشترطنا عدم الفاصل ، لأن الفاصل بحركة يمكن أن يخفف التنافر ويسيج النطق ( تأمل الفرق في النطق بين مستشررات — حيث الشين ساكنة وتليها الزاي فتقل النطق ، وبين ( نظر إليه شزرا » حيث الشين متحركة فسهل نطق الزاي بعدها ) ثم إنهم في الإنجليزية والفرنسية يسيغون البدء بالساكن فلا يكون امتناع التتابع بسببه — وإنما قد يكون حيتئذ بسبب تقارب مخارجي الحرفين .

( ٢ ) انظر مثلاً الحصاص ٩٠/١ - ٩٢ وشرح الفصل ١٣١/٩ - ١٣٢ ، وشرح الرضى الشافية ٢٥١/٢ .

— وتمثيلاً للبدء بالسواكن فإنني أحيل على التراكيب المبدوءة ب ( bl... )  
و ( br. ) و ( Cl... ) و ( dr.. ) — مثلاً — في أى معجم للإنجليزية  
أو الفرنسية : ولالتقاء الساكنين فإنني أحيل على التراكيب المبدوءة  
ب ( str.. ) و ( estr.. ) و ( const.. ) في معاجم اللغتين : بل قد يلتقي  
ثلاثة سواكن كما في التراكيب المبدوءة ب ( Constr... ) (١) .

٣ — وبالنسبة للتخفيف بالإبدال والتقريب بكل صورته فقد عرفت  
ظاهرة التقريب في اللغة الإنجليزية باسم المماثلة Assimilation وعرفت  
هذه المماثلة بأنها التكيف المتبادل بين صوتين متتاليين أى أن يتكيف أو يتعدل  
آخر هذا الصوت بما ينسجم مع أول تاليه وبالعكس ، وذكر أنه ليس  
من الضروري أن يكون التالى أو التجاور بين الصوتين المتأثرين بالمماثلة  
مباشراً (٢) : وواضح أن هذا التعريف يتسع لصور الإبدال التقريبي والمضارعة  
والإدغام العربية ؛ إذ لا يقع واحد منهما إلا تأثراً — بصورة ما — بما قبله  
أو بعده .

— إن تلك المماثلة تشمل عندهم تغير صفات الحروف من جهر إلى همس  
ومن انفجار إلى احتكاك — مثلاً — وبالعكس ، ما دام ذلك يقع تأثراً  
بالمجاورة ( وهذه مضارعة ) ، كما تشمل تغير الوحدة الصوتية Phoneme  
إلى أى من صورها أو بدائلها Allophone ، وإلى وحدة صوتية  
أخرى ( وهذا كالإبدال والقلب ) كما أنها تقع نتيجة للتجاور سواء  
أكان ذلك التجاور في كلمة واحدة أم في كلمتين ، وقد أسلفنا أنها  
تشمل الإدغام أيضاً ، وذلك باحتسابه مماثلة كاملة . وأخيراً فإنها تشمل  
نوعى تأثر الحروف بعضها ببعض سواء أكان تأثراً تقديمياً يتأثر فيه  
الحرف بما سبقه في سلسلة النطق أو رجعياً يتأثر فيه الحرف بما تلاه (٣) ،

---

(١) ربما كان لطفة نطق بعض الحروف أثر في قبول البدء بها ساكنة أو اجتماعها مع  
سواكن أخرى مثل s, t, r, ولكن هذا أمر يحتاج لبحث خاص .

(٢) See: Introduction to Phonetics, L.F. Brosnahan, P. 132.

(٣) See: Elements of General Phonetics. David Abercrombie,

P. 133, 136—139 and, Introd. To Phonetics P. 132—134, 138—139.



ومن الأمثلة التي ذكروها للمائلة الواقعة في كلمة واحدة. كلمة triumph حيث قد تنطق ال m فيها ميا. شفوية أسنانية (تشبه الميم المخففة في العربية) تأثراً بال f بعدها ، وكذلك كلمة happen قد تنطق ال n في آخرها كال m تأثراً بال P قبلها ، وكلمة incom تنطق ال n فيها نوناً حنكية velar (قريبة من أقصى الحنك) تأثراً بال C بعدها (١) .

— ومن أمثلة تلك المائلة بين حروف في كلمتين (نهاية كلمة وبداية أخرى) أن ال n في كلمة ten تنطق m في عبارة ten minutes تأثراً بال m التي بعدها (٢). وأن ال s في فعل الكينونة is قبل He مثلاً قد تنطق كالزاي الفارسية (ر) تأثراً بهيئة نطق الشين sh بعدها ، بل قد تنطق وكأنها شين خالصة لمائل الشين التي تتلوها (٣) . كذلك فإن y في did you قد تنطق كالزاي الفارسية تأثراً بال d قبلها (٤) .

— ومن أمثلة المائلة في صفات الحروف أن الصوتين المهموسين في نهاية birth ، black قد ينطقان مجهورين في birthday و blackboard تأثراً بال b ، d اللتين بعدهما . وال s في his daughter مجهورة تأثراً بال d بعدها ، بينما هي في his son مهموسة لاجتماعها مع ال s المهموسة مثلها (٥)، وال S علامة الجمع تجهر بعد الحروف المجهورة في مثل Pens وتهمس بعد المهموسة في مثل books .

— ومن الصور المطردة للمائلة عندهم أن بادئة النون in تتحول إلى قبل الكلمات المبدوءة ب L مثل Logical فيقال illogical بدل inlogical — وهذا يذكرنا بإدغام النون الساكنة في اللام في العربية مثل من لا ، إن لا ، وتتحول إلى ir قبل الكلمات المبدوءة ب r فيقال

See: Introduction to Phonetics pp. 132-133.

(١)

See: Elements of General Phonetics 136

(٢)

Ibid. P. 133, 137.

(٣)

Ibid. P. 135.

(٤)

Ibid. 136.

(٥)

irrelevant لا ... inre — وهذا أيضاً يذكرنا بإدغام النون الساكنة في الراء مثل من رجل ، وتتحول إلى im قبل الكلمات المبدوءة بحرف شفوي فيقال Improper (١) لا Inpr — وهذا يذكرنا بإقلاب النون الساكنة فيما قبل الباء في مثل من بعد .

- وجدير بالذكر أن مفهوم المائلة الكاملة Complete Assimilation عندهم يشمل تماثل الصوتين المتجاورين كما في ten minutes — وهذا يؤدي إلى الإدغام كما ترى ، ويشمل اتحاد وضع فتحة الحنجرة في الصوتين أي تماثل الصوتين في الجهر أو الخمس (٢) — وهذا لا يؤدي بالضرورة إلى الإدغام على ما هو معروف في العربية وإنما هو من المضارعة .

- ثم إنهم يقررون أن المائلة شائعة في لغات كثيرة (٣) . وأشاروا إلى المستوى التاريخي من المائلة ، وفسروا به بعض الصيغ في التركية والفنلندية والفرنسية (٤) بالإضافة إلى الإنجليزية . ونجزيء مما ذكره بمثلين : فالكلمة الإنجليزية orchard (بستان : حديقة فواكه) أصلها من كلمتين ort+yard وأبدل تتابع (ty) إلى ما ينطق (ch) بمائلة تقديمية . ولأن ذلك حدث من زمن قديم فقد تغير هجاء الكلمة ليمثل نطقها (٥) . والكلمة الفرنسية (Chercher) (يبحث) أصلها Cercher (٦) . أي أن ال C أبدلت إلى ما ينطق شينا لتناسب الشين التالية .

٤ — أما التخفيف بالحذف فهناك في الإنجليزية اختصار لحرف النفي not مع الأفعال المساعدة ، واختصار لهذه الأفعال نفسها أحياناً على ما يوضحه ما يلي :

- 
- |                                              |     |
|----------------------------------------------|-----|
| See: A University Grammar of English p. 431. | (١) |
| See: Elements ... p. 137.                    | (٢) |
| Ibid. and Introduction to Phonetics 134.     | (٣) |
| See Introduction p. 134, Elements p. 158.    | (٤) |
| See : Elements, p. 138.                      | (٥) |
| See: Introduction 134.                       | (٦) |

( أ ) مع الفعل Do يجوز اختصار حرف النفي not بحذف ال o  
لتصير الصيغ المنفية كالآتي

don't, does'nt, didn't

( ب ) والفعل Have تصير صيغه المثبتة هكذا

'd ← had ، 's ← has ، 've ← have

وتصير صيغه المنفية hadn't ، hasn't ، haven't

( ح ) والفعل Be تصير صيغه في الإثبات

're ← are ، 's ← is ، 'm ← am

وفي النفي ( ain't ) ، isn't ، aren't وفي الماضي weren't ، wasn't

وتستعمل ( ain't ) أيضاً تعبيراً عن

haven't ، hasn't ، aren't ، isn't

( د ) والأفعال المساعدة الشكلية ( modal ) : will تصير 'll و would

تصير 'd ومع النفي can not تصير can't ، shall not تصير shan't

و will not تصير won't وسائرهما تختصر فيه not فقط (١) .

— هذا . وهناك من الألفاظ في الإنجليزية مالا تنطبق بعض حروفه مثل

ال k في know و knife وكثير من المبدوءات ب k ساكنة ، ومثل

ال gh في daughter و eight وشتقاتها ، وما إلى ذلك .

هـ — وبالنسبة لأسلوب التخفيف بالإبدال في الوقف ، وسائر تخفيفات

الوقف فلا أعرف لها مقابلاً في الإنجليزية .

٦ — وكذلك بالنسبة للإبدال تخفيفاً من ثقل التضعيف . وربما نجد

نظيراً لهذا أو لغيره في صوغ التراكيب الإنجليزية من أصولها ، ولكن هذه  
مرحلة تاريخية .

— هذا ما تيسرت معرفته من أساليب التخفيف في الإنجليزية المضارعة

لأساليب التخفيف في العربية .



وهنا تعليقان :

الأول أنه بالنسبة لتناول الماثلة Assimilation في الإنجليزية الجانب التاريخي أعني ما حدث للألفاظ من أطوار تاريخية أساسها الماثلة فإن الدراسة العربية لم تخل من هذا النوع . فقد عقد ابن جني باباً في الحصائص « في تدريج اللغة » والتدريج هو الذي نعبّر عنه « بالتطور » تناول فيه عدة ألفاظ كانت مجالا لتطور لفظي منها قولهم صَبِيَّةٌ وصَبِيَّانِ بضم الصاد فيهما وكان ينبغي أن تكونا بالواو لأنهما من صبا يصبو ، ولكن الواو قلبت ياء في صَبِيَّةٍ وصَبِيَّانِ بالكسر لمناسبته فثبتت على ذلك بعد ما تركوا الكسرة إلى الضمة . وكذلك قولهم أبيض لباح بفتح اللام وإنما الياء منقلبة عن واو من حين قالوها لباح بالكسر ( من لوح ) ثم ثبتت بعد زوال الكسر . ومثل هذا قولهم الطِنَّةُ بالطاء المهملة ( وهي الظنة ) لما قالوا اطنَّنْ ، وقولهم ديمت السماء ( وهي من الدوام ) لما قالوا ديمة وديم . وغير ذلك (١) .

وقد ذكر سيوييه عدة من الأمثلة الداخلة في هذا التدريج وإن لم يسمها تدريجاً كالتخمة والتدعة والتهممة والتكأة وأفعالها وكلها تاءاتها مبدلة من واو لعله صرفية ثم ثبتت في بعضها بعد زوال العلة فقالوا أنخمه وأنكأه والتقوى (٢) .

وهناك غير هذا . إلا أن التطور التاريخي للألفاظ العربية الأصل هو من داخل اللغة وهو محدود جداً ، لكن الروافد الأساسية للألفاظ في الإنجليزية والفرنسية هي من لغات ولهجات ليست إنجليزية أو فرنسية أصلاً ، والتطور في تلك الألفاظ ليس مقصوراً على قواعد التركيب اللغوية الداخلية ، وإنما تدخل فيه العادات والطبائع الصوتية واللغوية لهذه الشعوب التي اقترضت منها تلك الألفاظ .

التعليق الثاني : أنه إذا كانت الصورة التي قدمتها عن وسائل تخفيف الأداء اللغوي في الإنجليزية كاملة أو قريبة من الكمال فإن هذه الحصيفة

(١) انظر الحصائص ٣٤٧/١ - ٢٥٥ .

(٢) انظر الكتاب ٤٦٤/٣ - ٤٦٥ .

« حسن تأليف الكلم » تكون قد بلغت في العربية - من شمول المستويات وكثرة الوسائل وتنوعها واطرادها - مبلغاً لا يحق للإنجليزية أو لما في مستواها في هذا الشأن أن يتطاول لمناظرة العربية فيه . فإن مستوى واحداً أو وسيلة واحدة من وسائل التخفيف في العربية توازن كل ما جاء في الإنجليزية من سبل التخفيف .

- وحتى مع اعتداد ما رأيناه في دراسة المماثلة Assimilation صورة مجملة فحسب ، فإن العناصر التي تناولتها هذه المماثلة ، والأمثلة ، وأسلوب المعالجة كل ذلك لا يوحى بأن وراء تلك الصورة المجملة صوراً مفصلة بقواعد مبسطة متنوعة ومطرودة تبلغ أو تقارب ما عرضناه من مستويات التخفيف ووسائله المتنوعة في العربية .

- ولا يقولن قائل إن وسائل التخفيف إنما تحتاج إليها في اللغات التي يستثقل أداؤها اللغوى ؛ فهذا أشبه بالمغالطة ، لأن الميل الطبيعي في الإنسان إلى التخفيف والراحة يأخذ به دائماً نحو الأيسر والأسهل ولو كان ما هو فيه ميسوراً سهلاً . ولدينا من تلك الوسائل التي اتخذوها للتخفيف واقتصاد الجهد من المماثلة والحذف شاهد على وجود الاستثقال والميل إلى التخفيف عندهم أيضاً .



، وأحسب أن من حقنا الآن أن نقول بثقة كاملة معتمدة على دراسة علمية مؤصلة إن العربية تتصف بحسن تأليف الكلم فيها أصالة ، وإنها تتخذ من السبل ما يكفل تماماً تحقق حسن التأليف فيها دائماً مهما تعددت صيغها وتراكيبها . وإن هذه الصفة حقيقة ثابتة لها لا يمكن دحضها .

- ثم أن نقول إن ما عرفناه من وسائل تخفيف الأداء اللغوى في الإنجليزية أوسع اللغات انتشاراً يقنعنا بأن حسن تأليف الكلم - الذي ثمرته خفة الأداء اللغوى - هو خصيصة للغة العربية تنفرد بها عن سائر اللغات ، نقول ذلك ونتمسك به إلى أن يظهر ما يقدر في هذا الانفراد ، ويثبت ثبوتاً علمياً أن هناك ما ينادى العربية في ذلك .





# المراجع

- ١ - الإتيقان في علوم القرآن للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي  
- تحقيق محمد أبو الفضل . ط ٣ . مصطفى الباني الحلبي  
- طبعة أخرى : الإتيقان ( وبهامشه : إعجاز القرآن للباقلاني )  
( تصوير ) . عالم الكتب
- ٢ - إحصائيات جذور معجم لسان العرب . د . علي حلمي موسى  
مطبوعات جامعة الكويت - ١٩٧٢ م
- ٣ - أساس البلاغة ( معجم ) لجار الله الزمخشري  
دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- ٤ - أسباب حدوث الحروف تصنيف الرئيس أبي علي الحسين ابن سينا ،  
نسخه وصححه ووقف على طبعه : محب الدين الخطيب . مطبعة  
المؤيد . القاهرة ١٣٣٢ هـ .
- ٥ - الاستدراك على سيويه في كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه  
مهذباً . تأليف : أبي بكر محمد بن الحسن الأشميلي الزبيدي -  
باعثاء المستشرق الإيطالي اغناطيوس كويدي . روما ١٨٩٠ - مكتبة  
المنشي . بغداد .
- ٦ - الأشباه والنظائر في النحو ، للشيخ العلامة جلال الدين السيوطي -  
تحقيق : طه عبد الرؤف سعد ، تصوير : دار الكتب العلمية . بيروت  
١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م توزيع : دار الباز - مكة .
- ٧ - إصلاح المنطق . يعقوب بن السكيت . تحقيق : أحمد محمد شاكر ،  
عبد السلام هرون . دار المعارف - القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م

- ٨ — الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس — مكتبة الأنجلو المصرية —  
الطبعة الرابعة — ١٩٧١ م
- ٩ — الأصوات والإشارات . ١ . كندارتوف : ترجمة : شوقي جلال  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ( العلم للجميع ) ١٩٧٢ م
- ١٠ — الأفعال لأبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطنى . تحقيق : د . حسين  
محمد شرف : مراجعة د . مهدي علام — مجمع اللغة العربية —  
القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م
- ١١ — أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ( معجم ) للعلامة سعيد  
الخورى الشرتونى . مطبعة مرسلى اليسوعية بيروت ١٨٨٩ م
- ١٢ — الأقصى القريب في علم البيان لأبي عبد الله محمد بن عمر التنوخى
- ١٣ — الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر أحمد بن على ( ابن الباذش )  
تحقيق : د . عبد المجيد قطامش — مطبوعات مركز البحث العلمى  
وإحياء التراث بجامعة أم القرى ، ط ١ — ١٤٠٣ هـ
- ١٤ — أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك — عبد الله جمال الدين بن  
يوسف بن هشام الأنصارى . ومعه عدة السالك إلى توضيح أوضح  
المسالك للشيخ محمد محيى الدين . دار الجليل . ط ٥ ، ١٣٩٩ هـ /  
١٩٧٩ م
- ١٥ — الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجى ، تحقيق : د/مازن  
المبارك . دار النفائس — بيروت ط ٤ — ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- ١٦ — البارع في اللغة — لأبي على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى تحقيق :  
هاشم الطعان . مكتب النهضة ( بغداد ) ، دار الحضارة ( بيروت )  
ط ١ — ١٩٧٥ م
- ١٧ — بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز . مجد الدين محمد بن  
يعقوب الفيروزابادى . تحقيق : محمد على النجار . المجلس الأعلى  
للشئون الإسلامية — مصر ١٣٨٣ — ١٣٩٣ هـ

- ١٨ — البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق وشرح :  
عبد السلام هارون — دار الفكر ط ٤ ( بدون تاريخ )
- ١٩ — تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة — شرحه ونشره : السيد أحمد  
صقر . دار التراث — الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م
- ٢٠ — تاج العروس من جواهر القاموس ( شرح القاموس ) للعلامة  
مرتضى الزبيدي . ط ١ — المطبعة الحيرية ١٣٠٦ هـ
- ٢١ — تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري  
تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار — دار العلم للملايين ، ١٣٩٩ هـ /  
١٩٧٩ م
- ٢٢ — التطور النحوي للغة العربية — محاضرات — للمستشرق الألماني  
برجشتراسر . أخرجه وصححه وعلق عليه : د / رمضان عبد التواب  
مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- ٢٣ — التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية . تأليف :  
الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني . تحقيق ومراجعة مجموعة من  
الأساتذة . مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ — ١٩٧٩ م
- ٢٤ — تكملة المعاجم العربية للمستشرق ريتشارد دوزي — نقله إلى العربية  
وعلق عليه : د / محمد سليم النعيمي . دار الرشيد للنشر . الجمهورية  
العراقية . ( يجري إخراجها في أجزاء متعاقبة منذ عام ١٩٧٨ م )
- ٢٥ — تهذيب خصائص الإمام علي للإمام الحافظ الحنجة أبي عبد الرحمن  
أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي : حققه وأخرجه أبو إسحاق  
الجويني الأثري حجازي بن محمد بن شريف ، دار الكتب العلمية  
بيروت ، ط ١ — ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م
- ٢٦ — تهذيب اللغة ( معجم ) لأبي منصور الأزهري . تحقيق : عبد السلام  
هارون ومراجعة : محمد علي النجار . وآخرين في تحقيق ومراجعة  
( م ١٠ — خصائص اللغة العربية )



سائر الأجزاء — المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر —  
الدار المصرية للتأليف والترجمة

٢٧ — التوطئة في اللغة العبرية . د / فؤاد حسنين علي ، الطبعة الأولى  
١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م

٢٨ — التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني —  
عنى بتصحيحه أوتو برتزل ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ —  
١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

٢٩ — الجاسوس على القاموس . أحمد فارس الشدياق . طبعة الجوائب  
١٢٩٩ هـ . ( تصوير : دار صادر )

٣٠ — جمع الجوامع أو الجامع الكبير للعلامة الحافظ جنلال الدين  
عبد الرحمن السيوطي نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب  
المصرية — ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣١ — الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق وشرح : عبد السلام  
هارون . مصطفى البابي الحلبي . ط ٢

٣٢ — الخصائص صنة أبي الفتح عثمان بن جني . تحقيق : الشيخ محمد  
علي النجار — دار الكتب المصرية / القسم الأدبي . نشر دار  
الكتاب العربي

٣٣ — دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس . د . عبد الصبور  
شاهين ، د . علي حلمي موسى . مطبوعات جامعة الكويت

٣٤ — درة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري . تحقيق :  
محمد أبو الفضل إبراهيم ط . دار نهضة مصر للطبع والنشر

٣٥ — ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي . تحقيق :  
د . أحمد مختار عمر . مراجعة : د . إبراهيم أنيس . مجمع اللغة  
العربية بالقاهرة . ط ١ . ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

- ٣٦ — الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي . تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر . مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٠ م
- ٣٧ — سر صناعة الإعراب . لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : د. حسن هندأوى ، دار القلم — دمشق ط ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، وقد طبع الجزء الأول وحده بتحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م
- ٣٨ — سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي : شرح وتصحيح : عبد المنعم الصعیدی ط : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م
- ٣٩ — شرح شافية ابن الحاجب للشيخ رضى الدين الأستراباذي . مع شرح شواهد للشيخ عبد القادر البغدادي . تحقيق الأساتذة : محمد نور الحسن ، محمد الزفراف ، محمد محي الدين ، دار الكتب العلمية — بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- ٤٠ — شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين بن عقيل العقيلي الممداني المصري . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
- ٤١ — شرح الكافية الشافية لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك . تحقيق : د . عبد المنعم أحمد هريدي . دار المأمون للتراث ط ١ — ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- ٤٢ — شرح المفصل : تأليف الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي ، عالم الكتب ، بيروت
- ٤٣ — شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للقاضي العالم نشوان بن سعيد الحميري اليمني — أشرف علي تصحيحه عند الطبع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني — عالم الكتب — بيروت ، ( بدون تاريخ )

٤٤. — الصاحبي ( في فقه اللغة ) لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي ،  
تحقيق : السيد أحمد صقر . عيسى البابي الحلبي . القاهرة

— الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية

٤٥. — طبقات فحول الشعراء تأليف محمد بن سلام الجمحي ، قرأه  
وشرحه : محمود محمد شاكر . جامعة الإمام محمد بن سعود  
الإسلامية بالرياض

٤٦. — علم اللغة العربية — مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات  
السامية . د / محمود فهمي حجازي — وكالة المطبوعات —  
الكويت : توزيع : دار العلم للملايين — بيروت ( المقدمة  
بتاريخ ١٩٧٣ م )

٤٧. — العين — كتاب العين — ( معجم ) للخليل بن أحمد  
ج١ : تحقيق : د / عبد الله درويش ، مطبعة العاني . بغداد  
١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م : ج٢ — ج٧ تحقيق : د / مهدي الخزومي ، د/  
إبراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام  
بالجمهورية العراقية

٤٨. — غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام . بمراقبة محمد عبد المعين  
خان . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية — حيدر آباد —  
الدكن ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م

٤٩. — غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق :  
د / عبد الله الجبوري ، وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية

٥٠. — غريب الحديث لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ( المجلدة  
الخامسة منه ) ، تحقيق : د / سليمان بن إبراهيم العايد — مركز  
البحث العلمي بكلية الشريعة — جامعة أم القرى — مكة المكرمة

٥١. — غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ، تحقيق :



عبد الكريم الغزبوى ، مركز البحث العلمى - جامعة أم القرى :

ط ١ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م

٥٢ - الغريبين : غريب القرآن. والحديث لأبي عبيد الهروى ( المتوفى

٤٠١ هـ ) ط القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ( الجزء الأول تحقيق :

د/ محمود محمد الطناحى )

٥٣ - الفائق فى غريب الحديث للعلامة جبار الله محمود بن عمر الزمخشري

تحقيق : على محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ط : عيسى

البابى الحلبي ، ط ٢

٥٤ - فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق : مصطفى

السقا ، إبراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبى - ط ١٣٩٢ هـ /

١٩٧٢ م

٥٥ - فى علم اللغة العام . د / عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب بالمنيرة -

( القاهرة ) ١٩٨٤ م

٥٦ - القاموس المحيط للفيروزابادى ( تصوير ) المؤسسة العربية للطباعة

والنشر - بيروت

٥٧ - قطر المحيط ( معجم ) تأليف : المعلم بطرس البستاني ، بيروت :

١٨٦٩ م

٥٨ - القطف واللباب - مختارات من الأدب الفارسي ، جامد عبد القادر

مكتبة نهضة مصر بالقجالة - القاهرة ١٩٥١ م

٥٩ - القلب والإبدال لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ضمن

مجموعة السكز اللغوى فى اللسن العربى . نشرها إوعلق حواشيها

المستشرق : د/ أوجست هفر المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣ م

٦٠ - القواعد والتطبيقات فى الإبدال والإعلال ، الشيخ عبد السميع

شبانة ، الطبعة الرابعة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ، مطبعة الفتوح - القاهرة

- ٦١ — الكتاب لسيويه ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ،  
دار القلم ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م
- ٦٢ — كشف الطيرة عن الغرة للسيد محمود أفندي الحسيني  
النقشبندی القادري الشهير بآلومي زاده : بتصحيح عبد القادر بن  
الشيخ عمر نهان علي نفقة السيد أفندي الحفني في المطبعة الحفنية  
بدمشق ١٣٠١ هـ
- ٦٣ — الكليات للعلامة أبي البقاء الحسيني الكفوي . ط ١ بولاق ١٢٥٣ هـ ،  
ط ٢ بإشراف عدنان درويش ، محمد المصري ، وزارة الثقافة  
— دمشق — ١٩٨٢ م
- ٦٤ — كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علي بن حسام الدين  
الهندي — مكتبة التراث الإسلامي حلب / مؤسسة الرسالة
- ٦٥ — لسان العرب لابن منظور ط بولاق
- ٦٦ — اللغة العربية معناها ومبناها ، د / تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب ١٩٧٣ م
- ٦٧ — المجلد ( معجم لغوي ) لأبي الحسين أحمد بن فارس . تحقيق :  
زهير سلطان
- ٦٨ — المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث للإمام الحافظ أبي موسى  
منجد بن أبي بكر المديني الأصفهاني تحقيق : عبد الكريم العزباوي  
( مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى )  
ط ١ — ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م
- ٦٩ — المحتسب في تعيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ،  
لأبي الفتح عثمان بن جني . تحقيق : د / علي النجدي ناصف ،  
د / عبد الحليم النجار ، د / عبد الفتاح شلبي : المجلس الأعلى  
للشؤون الإسلامية

٧٠ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تأليف : علي بن إسماعيل بن سيدة ، ( ج ١ - ٦ ) تحقيق جماعة من العلماء - مصطفى الباني الحلبي ، ١٣٧٧ هـ - ١٣٩٢ هـ

٧١ - محيط المحيط ( معجم ) تأليف المعلم بطرس البستاني بيروت ١٨٧٠ م / ١٢٨٦ هـ

٧٢ - المخصص . تأليف : أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة ، ط المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت

٧٣ - مد القاموس : إدوارد ولیم لين

Edward William Lane (An Arabic—English Lexicon) Libraire du Liban 1968.

٧٤ - المزهري في علوم اللغة وأنواعها . للعلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، شرحه وضبطه : محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الباني الحلبي .

٧٥ - المصباح المنير للفيومي ، تحقيق : د / عبد العظيم الشناوي . ط : دار المعارف

- معجم دوزي = تكملة المعاجم العربية

٧٦ - معجم القراءات القرآنية مع مقبلة في القراءات وأشهر القراء د / عبد الباقى سالم مكرم ، د / أحمد مختار . عمر مطبوعات جامعة الكويت ، ط ١ - ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

- معجم لين = مد القاموس

٧٧ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون . مصطفى الباني الحلبي ط ٢ - ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

٧٨ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بمصر ( الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ) مطابع دار المعارف ١٤٠٠ هـ /



٧٩ - المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي - تحقيق وشرح أبي الأشبال أحمد محمد شاكر - دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ

٨٠ - المُعَرَّب في ترتيب المُعَرَّب للإمام الأغوي أبي الفتح ناصر الدين المطرزي حققه: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار - مكتبة أسامة ابن زيد ( حلب - سورية ) ط ١ - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

٨١ - المفردات في غريب القرآن للإمام الحسين بن محمد ( الراغب الأصفهاني ) تحقيق: محمد سيد كيلاني - مصطفى البابي الحلبي - ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م

٨٢ - مقدمتان في علوم القرآن . تصحيح وطبع : آرثر جفري ، مكتبة الحانجي بالقاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م

٨٣ - نسيم تصحيح الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للعلامة شهاب الدين الحفاجي (وبهامشه شرح الشفا للعلامة علي القاري) ، المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٧ هـ

٨٤ - النشر في القراءات العشر . تأليف : الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، ط . المكتبة التجارية : مصر

٨٥ - نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها بقلم الأب أنستاس ماري الكرملي - المطبعة العصرية - القاهرة ١٩٣٨ م .

٨٦ - نهاية القول المفيد في علم التجويد للعلامة الشيخ محمد مكى نصر ط ١ - المطبعة الأميرية ببولاق - مصر ١٣٠٨ هـ .

دراسات باللغة الانجليزية :

٨٧ - Chambers's Encyclopaedia. (New Revised Edition) International learning systems corporation limited London (1970)

٨٨ - Elements of General Phonetics by David Abercrombie - Edinburgh/Universty press-1974.

**Encyclopaedia Britannica (15th Edition) (1973—1974) . — ८१**

**Introduction To phonetics by L.F. Brosnahan—Bertil — १०**  
**Maberg, W. Heffer & Sons LTD, Cambridge (1970).**

**The Universal English dictionary by Henry Cecil Wyld. — ११**  
**Routledge & Kegan Paul Limited, London.**

**A University Grammar of English by Randolph quirk, — १४**  
**sidney greenbaum. Longman 1980.**





# فهرس

| الموضوع                                              | الصفحة |
|------------------------------------------------------|--------|
| مقدمة ..                                             | ٣      |
| التمهيد الأول : تحليل لغوى لكلمة خصائص               | ٩      |
| التمهيد الثانى : إجمال الخصائص                       | ١٩     |
| التمهيد الثالث : تفضيل اللغة العربية على سائر اللغات | ٢٥     |
| الخصيصة الأولى : البيان                              | ٣٧     |
| الخصيصة الثانية : وهى من الخصائص المفصلة للبيان :    |        |
| زيادة حروف المباني فى العربية عنها فى غيرها          | ٤١     |
| الخصيصة الثالثة - وهى من الخصائص المفصلة للبيان :    |        |
| حسن تأليف مباني الكلم فى العربية                     | ٥١     |
| الصورة الأولى لحسن تأليف مباني الكلم العربية :       |        |
| قلة عدد الحروف فى الجذور العربية                     | ٥٥     |
| الصورة الثانية لحسن التأليف :                        |        |
| تخفيف التراكيب الرباعية والخماسية بحروف الدلالة      | ٥٩     |
| الصورة الثالثة لحسن التأليف :                        |        |
| وهى ما التزم فى مكونات الألفاظ العربية من الاتساق    | ٦٣     |

الصورة الرابعة لحسن التأليف :

ما يجريه العرب في ألفاظهم التي يشعرون - أو

يستشعرون-ثقلها من أنواع التخفيف . . . . : ٧٣

الصورة الخامسة لحسن التأليف :

حسن تأليف الحركات . . . . . ١١٣

المراجع . . . . . ١٤٣

فهرس . . . . . ١٥٥





رقم الإبداع بدار الكتب القومية ٢٤٥٦ لسنة ١٩٨٧  
نرقم دولى ٤ - ٠٢٥٥ - ١٠ - ٩٧٧

---

مطابع الدجوى - القاهرة عابدين









## دار الفكر العربي

الإدارة :

١١ ش. جوار صني - القاهرة

ص.ب. ١٣٠ ت ٣٩٢٥٥٢٣

تطلب جميع منشوراتنا من فروعنا

الفرع الرئيسي :

٦٦ ش. جوار صني - القاهرة

ت ٣٩٣٠١٦٧

فرع مدينة نصر :

٩٤ ش. عباس العقار / المنطقة

الادسة - ت ٢٦١٩٠٤٩

فرع الدقي :

٢٧ ش. عبد العظيم راشد / متفرع

من ش. الدكتور شاهين - العجوزة

ت ٧١٧٤٩٨

مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطباعة والنشر والتوزيع

الكويت

ص.ب. ٦٠٥٦ / السالمية ٢٢٠٧١

٥٧١٨٥٧١ ٦ ٥٧٤٨١٦٥